أدهم شرقاوي
"قس بن ساعدة"

أنتِ أيضًا صَحابيّة



kalemat

أنتِ أيضاً صحابيَّة

أنتِ أيضاً صحابيَّة

أدهم شرقاوي

دار كلمات للنشر والتوزيع
بريد إلكتروني:
Dar_Kalemat@hotmail.com
الموقع الإلكتروني:
www. kalemat.com

أنتِ أيضاً صحابيَّة

أدهم شرقاوي

2022

kalemat

الإهداء:

إلى التي تزوجَّتْ ولم تُنجب،
فتعزَّتْ بعائشة رضي اللّه عنها،
وإلى التي طُلِّقَتْ فتعزتْ برقية، وأم كلثوم ابنتي النبيِّ ﷺ
وإلى التي تأخر زواجها فظنَّتْ أن القطار قد فات،
فتعزَّتْ بخديجة رضي اللّه عنها في الأربعين تزوّجتْ سيد الرجال،
وإلى التي حيل بينها وبين حبيبها،
فتعزتْ بزينب ابنة النبي ﷺ،
وقد حيل بينها وبين أبي العاص بن الربيع،
وإلى التي لم تتزوج أبداً،
فتعزت بالصحابية الجليلة أم حكيم،
وإلى التي لم تتزوج بعد وفاة زوجها،
وتعزتْ بنائلة زوجة عثمان بن عفان وهي تقول:
لا أريدُ أن يبلى حُبُّ عثمان في قلبي!
وإلى التي تزوجتْ بعد وفاة زوجها،
لأنَّ هذا حلال وليس في الحلال عيب،
إلى المؤنسات الغاليات بنات خديجة بنت خويلد،
وأخوات عائشة بنت الصدِّيق،
وشقيقات فاطمة الزهراء،
إليكنَّ أُهدي هذا الكتاب!

هذه أنتِ!

لقد اعتدتِ أن تنظري إلى نفسكِ بعينيكِ أنتِ
فتعالي أُريكِ نفسكِ بعينيَّ أنا!
مما جاءَ في خبر خلق أُمنا حوَّاء
أنَّ اللّه تعالى لما خلقَ آدم عليه السلام وأسكنه الجنَّة استوحشَ
فأخذ سبحانه قطعةً من ضلع آدم
قطعة قريبة جداً من القلب
وخلقَ له منها حوَّاء لتؤنسه!
هذه أنتِ!
المرأة التي لا تكون الجنة بدونها جنَّة!
أنتِ الأم التي جعل اللّه تعالى الجنة عند قدميكِ!
وأنتِ الزوجة التي لا يكون الرجل رجلاً،
إلا إذا أكرمكِ!
وأنتِ البنتُ التي جُعلتْ حجاب أبيها من النار!
وأنتِ الأختُ التي وصْلُها عبادة!
وأنتِ العمّة التي توضعُ تاجاً على الرأس!
وأنتِ الخالة التي قال عنها النبيُّ ﷺ:
الخالة بمنزلة الأم!
وأنتِ الجارة التي تُصان كأنها عِرض
وأنتِ المسلمة التي كانت تُحرَّكُ لأجل كرامتها الجيوش
أُهينتْ مرةً امرأة مسلمة فصرختْ: وامعتصماه!
فبلغتْ تلك الصرخة المعتصم فجهَّز لها جيشاً

أوله عندها وآخره عنده!
أنتِ الحضن الحنون الذي نأوي إليه
هاربين من مشقة الحياة،
وأنتِ الكتف الذي لا نستغني عن الاتكاء عليه رغم رقّته!
وأنتِ العكّاز الذي لا نستغني عن الاستناد عليه رغم نعومته!
وأنتِ مصنعُ الرجال ومهد الأبطال!
لستِ ضلعاً قاصراً أبداً،
ولا مخلوقاً ضعيفاً يستحقُّ الشَّفقة،
أنتِ نصف المجتمع!
وأنتِ التي تلدين، وتربين النصف الآخر،
كل رجلٍ جاء إلى الدنيا،
كان يوماً جنيناً في بطنكِ يأكل من صحتكِ وعافيتكِ!
كل مَلك، أو زعيم، أو مفكر، أو ثري، أو ناجح
كان يوماً قطعة لحم صغيرة بين يديكِ!
كل نبيٍّ أنتِ ربَّيتِه،
وكل عظيم أنتِ صنعتِه،
فارفعي رأسكِ عالياً!

أَصْلِحي شُهودكِ!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
تخيّلي معي هذا المشهد، وعيشيه بقلبكِ وروحكِ؛
جالسةٌ أنتِ مع النبيِّ ﷺ
تُكحلين عينيكِ برؤية وجهه ﷺ
تفتحين قلبكِ على مصراعيه لتسمعي حديثه ﷺ
فالحبيبُ ﷺ يُسمعُ بالقلب لا بالأذن!
وتمرُّ جنازة فيثني الصحابة عليها خيراً،
لربما تسمعينهم يقولون:
كان هذا الميت صديقاً وفياً، وزوجاً مُحبّاً،
وابناً باراً، وجاراً كريماً،
كان يتصدَّقُ على المساكين،
ويسدُّ دَيْن المدينين،
كان يجبرُ الخواطرُ، ويربتُ على الأكتاف،
كثيراً ما مسح دمعة حزين،
ومدَّ يد المساعدة لمتعثر،
كان صديقاً للمصحف،
ومشَّاءً إلى المساجد!
فقال النبيُّ ﷺ: وجبتْ!
ومضى وقت قصير ومرَّتْ جنازة أخرى،
فأثنى الصحابة عليها شرّاً!
لربما تسمعينهم يقولون:

كان هذا الميت صديقاً غادراً، وزوجاً قاسياً،
وابناً عاقاً، وجاراً لا يُؤتمن،
لم يتصدّقْ يوماً على مسكين،
كان يكسرُ الخواطر بأفعاله،
ويجرح الكرامات بأقواله،
كان هاجر للقرآن، ولا تعرف قدماه طريق المسجد!
فقال النبيُّ ﷺ: وجبتْ!
فسأله الصحابة: ما وجبتْ يا رسول الله؟
فقال: من أثنيتم عليه خيراً وجبتْ له الجنة،
ومن أثنيتم عليه شرّاً وجبتْ له النار،
أنتم شهداء الله في الأرض!

أما الآنَ وقد سمعتِ كل هذا،
وعرفتِ أنكِ ستُحملين يوماً على الأكتاف إلى قبركِ،
وأن الناس الذين تتعاملين معهم اليوم،
هم شُهداء الله في الأرض،
فأصلحي شُهودكِ!
كوني ابنةً بارَّةً،
حتى إذا متِّ قال أبواكِ:
اللهمَّ ارحمْ بنتاً جبرتْ خواطرنا
وأحسنتْ معاملتنا
كانت تغضُّ صوتها، وتنتقي كلامها
وتُسابق جميع أخواتها في رضانا!
كوني زوجةً مُحبَّة،

حتى إذا متِّ قال زوجكِ:
اللهم ارحمْ زوجةً أحبتني كروحها،
صانتْ عِرضي، وأنارتْ بيتي،
عطفتْ على أولادي، واحترمتْ أهلي،
اللهم إنها كانتْ صابرة في الضَّراء،
شاكرة في السَّراء،
فاجعلْ قبرها روضةً من رياض الجنّة!

كوني أُماً رؤوماً،
حتى إذا متِّ قال أولادكِ:
اللهم ارحمْ أُماً حنوناً، وقلباً عطوفاً،
أفنتْ عمرها في سبيلنا، وقدمتنا على نفسها،
أمرتنا بالصلاة، ولاحقتنا على الصيام، وحفَّظتنا القرآن،
اللهمَّ إنها لم تُميِّزْ بيننا،
ولم توغر صدورنا على بعضٍ،
وتركتنا بعدها إخوة متحابين،
فاللهمَّ أكرِمْ نُزلها، وأنِرْ قبرها!

كوني أُختاً طيِّبة،
حتى إذا متِّ قال إخوتكِ:
اللهمَّ إنها كانتْ شقيقة الروح وقطعة القلب،
وصلتّنا حين قطعناها،
وأعطتنا حين منعناها،

ما سمعنا منها إلا خيراً، وما رأينا منها إلا خيراً
فاللهمَّ اجعلْ قبرها روضةً من رياض الجنَّة!

كوني كنَّةً حنوناً،
حتى إذا متِّ قالتْ حماتكِ:
اللهمَّ إنها كانتْ لي ابنةً أكثر من بناتي،
جبرتْ خاطري، وراعتْ مشاعري،
وأعانتْ ابني على برِّي،
اللهم كُنْ بها رحيماً كما كانتْ بي رحيمة!

كوني حماةً طيِّبة،
حتى إذا متِّ قالتْ كنتُكِ:
اللهمَّ إنها كانت لي أُماً مع أمي،
ساندتني حين ضعفتُ،
وواستني حين حزنتُ،
وأمرتْ ابنها بحُسن معاملتي،
ولم تُفضِّل أولاد غيري على أولادي،
اللهمَّ عاملها اليوم بما يليقُ بكرمكَ!

كوني جارةً مُحبَّة،
حتى إذا متِّ قالتْ جارتكِ:
اللهمَّ إنها كانت لي أُختاً
كانتْ في المصائب كتفاً

وفي النوائب عكازاً
ما كشفتْ لنا سراً،
ولا هتكتْ لنا عِرضاً،
كانتْ تزورُ مريضنا، وتُعزي في ميّتنا،
تُهدينا الطعام، وتُلقي علينا السَّلام،
فاللهم كُن لها جاراً وجواراً!

كوني صديقةً مأمونة،
حتى إذا متِّ قالتْ صديقتكِ:
اللهمَّ إنها كانتْ من نِعمكَ عليَّ،
كانتْ تُذكرني بكَ، وتحثني على طاعتكَ،
أهدتني مصحفاً هو رفيقي،
وسُبحةً هي دوماً في يدي،
لم تُفشِ لي سرِّاً،
كنتُ إذا اعوججتُ باللطفِ قوَّمتني،
وإن حزنتُ واستني في حزني،
وإن فرحتُ شاركتني في فرحي،
اللهمَّ إنها فتحتْ لي قلبها وبيتها،
فابنِ لها بيتاً في الجنة!

لا تنسي المعروف!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
تركتِ بيتكِ في مكة،
وهاجرتِ إلى المدينة تابعةً قلبكِ ودينكِ ونبيّكِ ﷺ
كلُّ شيءٍ فيكِ يشتاقُ إلى مكة،
الحنين إلى الكعبة لا يهدأ،
وتنتظرين بفارغ الصبر تلك اللحظة التي
ستكحلين فيها عينيكِ برؤيتها مجدداً!
ويُخبركِ النبيُّ ﷺ أنه قد عزمَ على فتح مكة،
فيرقصُ قلبكِ فرحاً بهذا الخبر،
ولكنَّ النبيَّ ﷺ قد طلب منكم
أن تُبقوا هذا الأمر سراً!
فالحربُ نهاية المطاف خدعة،
والذي يملكُ عنصر المفاجأة نادراً ما يُهزم!
وقد أراد النبيُّ ﷺ فتحاً بأقل الخسائر،
نمتِ تلكَ الليلة وأنت تحلمين بتلك اللحظة،
التي ستُقبّلين فيها تُراب مكة،
وستشهدين الأصنام تُداس بالأقدام،
وسترين بلالاً يصعدُ على ظهر الكعبة،
منادياً ملء حنجرته أنَّ «اللّه أكبر»!
ولكن طارئاً قد حدث هدَّدَ كل هذا الحلم بالانهيار،
يستدعي النبيُّ ﷺ ثلاثةً من خيرة أصحابه،

علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود
في مهمة عاجلة وخطيرة،
ويأمرهم بالتوجه إلى «روضة خاخ»
وهناك سيجدون امرأةً تحملُ رسالة،
عليهم إحضارها فوراً مهما كلَّفَ الأمر!
وينطلقُ الفرسان الثلاثة على جناح السرعة،
وهناك يعثرون على المرأة التي أخبرهم عنها نبيهم ﷺ،
فلم ينطقْ مرةً ﷺ عن هوىً
كانت معيَّة اللّه تحفُّه، والوحي يؤيده!
طلبوا من المرأة أن تعطيهم الرسالة التي تحملها،
ولكنها أنكرتْ وجودها!
فقالوا لها: إما أن تُخرجي الكتاب، أو لنضعنَّ الثياب!
فلما عرفتْ أنهم قد عزموا تفتيشها،
أخرجت الرسالة من بين ضفائر شعرها حيث خبأتها!
فأخذوا الرسالة وعادوا بها إلى النبيِّ ﷺ،
وفي المدينة يفتحُ النبيُّ ﷺ الرسالة،
فإذا بها من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش،
يُعلمهم فيها أنَّ النبيَّ ﷺ قد عزمَ على فتح مكة!
في العلوم العسكرية يُعتبر هذا خرقاً أمنياً خطيراً،
وإن شئتِ فهذه خيانة عُظمى!
ويُبرر حاطبٌ للنبيِّ ﷺ فعلته هذه،
بأنَّ له أهلاً ضعافاً في مكة قد نالهم أذى قريش،
وأنه أراد أن يُخففوا عنهم،

وأنَّ الإيمان في قلبه كالجبال الرواسي لم يتزحزح قيد أُنملة!
ويقبلُ النبيُّ ﷺ عُذر حاطب بن أبي بلتعة،
ولكن عمر بن الخطاب الحازم في دين اللّه،
الشرس إذا تعلَّقَ الأمر بالإسلام،
يقولُ للنبيِّ ﷺ:
يا رسول اللّه، ائذنْ لي أن أضربَ عنق هذا المنافق!
فقال له النبيُّ ﷺ: لا يا عُمر،
إنه قد شهدَ بدراً، لعلَّ اللّه اطلعَ على أهل بدر فقال:
اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم!
يا للوفاء يا رسول اللّه، يا للوفاء!
لم يُنسِه هذا التصرف الخاطئ ماضيَ صاحبه المشرق معه!
فلا تنسي أنتِ كلَّ معروف أُسديَ إليكِ،
عندما يقعُ خلافٌ بينكِ وبين زوجكِ،
لا تنسي تلك اللحظات الحلوة التي عشتماها معاً!
تذكري تلكَ المواقف التي طيَّبَ فيها خاطركِ،
تذكري الهدايا التي ملأ قلبكِ بها سعادة،
تذكري حنانه عليكِ يوم مرضتِ،
وتذكري مشواراً لم يكن يرغبُ فيه،
ولكنه ذهبَ لأنه يريدُ أن يُسعدكِ!
تذكري أنه إن بخلَ عليكِ مرةً،
فقد كان كريماً عليكِ مرَّاتٍ!
وإن لم يسمح له وقته باصطحابكِ إلى أهلكِ،
فقد فعلها عشرات المرات!

تذكري أنه إن غضبَ منكِ الآن،
فقد صفحَ عنكِ في غيرها!
تذكري اللقمة التي كان يضعها في فمكِ حُباً،
والكلمة التي كان يقولها لكِ شوقاً،
والحُرُّ من راعى وداد لحظة،
وقد كان نبيُّكِ لا ينسى المعروف،
فاقتدي به ولا تنسي المعروف أيضاً!

أخوكِ الذي غضبتِ منه الآن،
ألم تضحكان من قبل معاً وتبكيان معاً؟!
فلِمَ ستهون عليكِ تلكَ اللحظات الحلوة؟!

أختكِ التي حصل بينكِ وبينها خصام
ألم تكن يوماً حبَّة قلبكِ؟!
فما بالكِ تهدمين عمراً من المودة لأجل خصام عابر؟!

ابنكِ الذي قصَّر معكِ هذه المرَّة
ألم يبرَّكِ مراتٍ ومراتٍ؟!
أليس من النُّبلِ أن تهبي هذه لتلكَ؟!

حماتك التي أغضبتكِ الآن
ألم تكُنْ لكَ مرةً أُماً؟
أما كانتْ في صفّكِ مرَّةً؟
فلمَ تهون عليكِ العِشرة؟!

جارتكِ التي لم يُعجبكِ منها تصرفها هذه المرَّة
أما أعجبكِ تصرفها مرَّاتٍ؟!
أما أهدتكِ يوماً من طعامها؟
أما زارتكِ في مرضٍ؟
فلماذا تريدين من الناس أن يكونوا ملائكةً على الدَّوام؟!

كان نبيُّكِ ﷺ وفياً،
ولن تكوني صحابيَّةً إلا إذا كنتِ مثله!
جاءه يوماً موفدان من مسيلمة الكذاب،
فسألهما: هل تؤمنان أنه نبيٌّ؟!
فقالا: نعم!
فقال لهما: لولا أن الرُّسل لا تُقتل لقتلتكما!
كذَّباه في نبوته، واعترفا بنبوة غيره،
ومع هذا لم يخرجه غضبه من وفائه،
فإن كان المرسل الكافر لا يُقتل على كفره،
بل يؤمّنُ ويُكرم
أليس الزوج المسلم أحقُّ بالوفاء؟!
أليست الأخت والحماة والجارة والصديقة أحقُّ بالوفاء؟!

أرسلتْ قريشٌ أبا رافع موفداً إلى النبيِّ ﷺ،
فلما جاء إلى المدينة دخلَ الإسلامُ إلى قلبه،
فأخبرَ النبيَّ ﷺ أنه يريدُ أن يبقى في المدينة،
فقال له النبيُّ ﷺ: إني لا أخيسُ بالعهد،

ولا أحبسُ الرُّسُلَ، ولكن ارجعْ إلى قومكَ،
فإن كان في نفسكَ الذي فيها الآن فارجِعْ!
وأنتِ أيضاً إن كنتِ صحابية فلا تخيسي بالعهد!
أنتِ عِرضُ رجلٍ فاحفظيه،
وأمان أولادكِ فالزميهم،
وسُمعة أبيكِ فحاربي لأجلها،
لا تحني رأس رجالٍ أحبوكِ وربوكِ لأجل لحظة طيش،
ولا لأجل شعور عابر،
من أمَّنكِ فأدِّي إليه أمانته!

يقول حُذيفة بن اليمان:
ما منعني أن أشهدَ بدراً إلا أني
خرجتُ أنا وأبي حسيل نريدُ النبيَّ ﷺ
فأخذنا كفار قريش، وقالوا: إنكم تريدون محمداً؟
فقلنا لهم: ما نريده، ما نريد إلا المدينة؟
فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة
ولا نُقاتل معه!
فأتينا النبيَّ ﷺ وأخبرناه بالخبر
فقال: انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعينُ باللهِ عليهم!
هذا هو نبيّكِ ﷺ!
كان يفي بعهده للكافر الذي جاء لقتاله!
فإن كنتِ تريدين حيازة شرفَ أن تكوني صحابيَّة
فوفاء عهود المسلمين أولى!

فلا تنسي عهداً قطعته،
ولا معروفاً أُسديَ إليكِ،
ولا لحظةً حُلوة عشتها،
كوني وفيَّةً كما يليقُ بالصحابيَّة أن تكون!

رحلة إلى السَّماء!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!

وها هو نبيُّكِ ﷺ، وحبيبكِ قد عاد من رحلته إلى السَّماء!

جالسةٌ أنتِ في جمع الصَّحابة

وكلُّكِ لهفة لتسمعي شيئاً من عجائب المعراج!

وها هو الذي حلَّ ضيفاً في سِدرة المنتهى،

يُسرِجُ لكِ صهوةَ الكلامِ بعذبِ صوته ويقول لكِ:

لمَّا كانت الليلة التي أُسَريَ بي فيها،

أتتْ عليَّ رائحة طيِّبة،

فقلتُ: يا جبريلُ ما هذه الرائحة؟

فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها!

فقلتُ: وما ماشطة ابنة فرعون؟

فقال: بينما هي تُمشِّطُ ابنة فرعون ذات يوم

إذ سقطَ المشطُ من يدها، فقالت: بسم اللّٰه!

فقالتْ لها ابنة فرعون: أبي؟!

فقالتْ: لا، ولكن ربي وربُّ أبيكِ اللّٰه!

قالتْ: أأخبره بذلك؟

قالت: نعم!

فأخبرته، فدعاها،

فقال: يا فلانة وإنَّ لكِ ربَّاً غيري؟

قالتْ: نعم، ربي وربُّكَ اللّٰه!

فأمر بقِدْرٍ من نُحاسٍ فأُحميتْ

ثم أمرَ أن تُلقى هي وأولادها فيها!
قالتْ له: إنَّ لي إليكَ حاجة!
قال: وما حاجتكِ؟
قالتْ: أُحبُّ أن تجمع عظامي وعظام أولادي
في ثوبٍ واحدٍ وتدفننا!
قال: ذلكَ لكِ علينا من الحق!
فأمر بأولادها فأُلقوا بين يديها واحداً واحداً!
إلى أن انتهى ذلكَ إلى صبيٍّ لها رضيع،
وكأنها تقاعستْ من أجله،
فقال: يا أُمَّاه، اقتحمي،
فإنَّ عذابَ الدنيا أهون من عذاب الآخرة!

أرأيتِ ما يفعلُ الإيمان بالقلوب أيتها الصحابيَّة؟!
أرأيتِ كيف يُحوَّل المرء من كائنٍ ضعيفٍ
إلى جبلٍ ثابتٍ لا يركعُ إلا لربِّه،
إنها مجرَّد ماشطةٍ بين آلاف الخدم،
وفرعون الملكُ الجبَّار الذي يهابه الرجال الأشداء
وينادي في الناس كذباً وزوراً: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾
فلا يجد من يخبره بكفره وافترائه
بلد كاملٌ منصاعٌ له عن آخره خوفاً ورهبة
ولكن الإيمان غيَّرَ كل هذه المعادلة!
الخادمة الضَّعيفة في مواجهة الملكِ الذي يحكم ظلماً،
والإله الذي يُعبدُ كُفراً،

مواجهة محسومة مسبقاً لولا الإيمان الذي قلبَ الموازين،
وقفتْ الماشطة بثباتٍ حيث يرتجفُ الرِّجال،
وقالتْ لفرعون قولاً لم يسبق أن سمعه من غيرها،
ربي وربُّكَ اللّه!
كل جيوش فرعون لم تُغنِ عنه شيئاً،
كل جبروته ذهبَ أدراج الرياح،
وجلس صاغراً يأخذ درساً في التوحيد من ماشطة ابنته:
«ربي وربُّكَ اللّه»!
لولا الإيمان ما سمعنا بهذه المرأة،
ولطواها التاريخ كما طوى ملايين الناس،
ولكنه الإيمان أقوى جنود اللّه إذا ما تمكَّنَ من القلب!
أنتِ بالإيمان، جبل وإن كنتِ تفيضين أنوثة!
وأنتِ بالإيمان جيش، وإن كنتِ وحدكِ!
مع الإيمان لا شيء في الدُّنيا يستطيعُ هزيمتكِ،
إنه سلاحُكِ الأقوى، وسيفُكِ الأمضى!

تتأملين أنوثتكِ في المرآة
وأنتِ المفطورةُ على أن تُظهريها لتُشبعي جوع الحُب عندكِ،
ولكنَّ الإيمان الذي في قلبكِ يجعلكِ تقولين لنفسكِ
هذا الجمال يجب أن يُصان عن العيون،
هذه الأنوثة سأخبئها إلى حين يأتي صاحبها،
فيجدني كالدُّرة المُصانة التي لا تُعرضُ في الواجهات!
الذَّهب يُعرضُ على الرفوف أمام المارَّة،

أما الدُّررُ فتُخبأ إلى أن يأتي من يعرف قيمتها!
أنتِ بالإيمان أقوى!
يمرُّ بكِ الفقرُ الذي يمرُّ بالنَّاس فيسخطهم على قَدَرِ اللّٰه،
أما أنتِ فتقولين له:
إنَّ اللّٰه تعالى لم يحرمني عن قلَّة ما عنده،
فخزائن السماوات والأرض بيده،
ولكنها دار امتحان وقد ابتلاني اللّٰهُ بكَ
لينظرَ أأصبرُ أم أكفر!
وأنا صابرة محتسبة فأقِمْ يا فقر ما شئتَ عندي،
فلستَ تقيمُ بأمركَ ولا ترحلُ بأمركَ،
إنَّ الأمر كله للّٰه!
ثم تعزين نفسكِ بنبيِّكِ ﷺ، وحبيبكِ
تتذكرين كيف نام على الحصير حتى أثَّر في جنبه ﷺ،
فلم يكن عنده فراش وثير!
وتتذكرين كيف كان ﷺ يربطُ حجراً على بطنه من الجوع،
وكيف كانت تمرُّ الأيام ولا يوقَدُ في بيته ﷺ نار لطعام،
ليس له ﷺ، ولزوجاته من الطعام غير التمر والماء!
فتهون عليكِ نفسكِ أمام نفسه،
وتهمسين لنفسكِ: أنا أيضاً صحابيَّة،
وسأصبر كما صبر رسول اللّٰه ﷺ!

أنتِ بالإيمان جبل،
يمرُّ بكِ المرضُ الذي يمرُّ بالناس،

ويجعلهم غير راضين على قدر اللّه،
أما أنتِ فتقولين له:
إنَّ اللّه نظرَ إليَّ فأحبَّني،
وأراد أن يرفع درجتي في الجنّة،
فأرسلكَ إليَّ!
فواللّهِ لن تجد مني يا مرض غير الحمد والصبر،
لستُ خيراً من أيوب عليه السلام إذ ابتلاه ربه،
ولستُ خيراً من نبيي وحبيبي ﷺ،
إذ كان ﷺ يربطُ رأسه من شدة الصُداع،
ويجهده التعب والوجع إذا راجعه أثر سُمِّ اليهودية،
الذي دسته له في كتف الشاة!
يا أيها المرضُ لم تأتِ بأمركِ،
ولن ترحلَ بأمركَ،
إنَّ الأمر كله للّهِ،
فإن أقمتَ عندي فلن تجد إلا الصبر
وإن رحلتَ فلن تجدَ إلا الشُّكر
أنا أَمةُ اللّه، ومُلكه، وله، وطوع أمره، وبين يديه
وكل أقداره خير!

أنت بالإيمان غير!
يمرُّ بكِ فقدُ الأحبة الذي يمرُّ بالناس،
ويجعلهم يتذمرون فقد أحبابهم،
أما أنتِ فتقولين له:

للّه ما أعطى، وللّه ما أخذ، وكل شيءٍ عنده بقدر!
وتتعزين بنبيكِ وحبيبكِ ﷺ،
تتذكرين حزنه يوم فقد زوجته خديجة،
وتتذكرين وجعه يوم فقد عمه حمزة،
وتتذكرين دموعه يوم فقد ابنه الرضيع إبراهيم،
فتعلمين أنها أعمار مكتوبة، وآجال محددة،
وأننا سنمضي جميعاً نهاية المطاف،
وأننا لسنا إلا ودائع في هذه الدنيا،
وأن صاحب الوديعة من حقه أن يستردَّها متى شاء!

لم نُخلق للدنيا أيتها الصحابيَّة،
لسنا إلا عابرين في سفرٍ طويلٍ،
بيوتنا الحقيقية في الجنّة،
حيث سكن أبونا آدم عليه السلام وأُمنا حوَّاء يوماً،
إلى هناك ننتمي، وإلى هناك سنعود،
فاصبري،
فمن عرفَ ما يطلبُ هان عليه ما يبذل!

في قصر فرعون!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
عندكِ شغف رهيب لمعرفة أخبار الأمم السَّابقة،
تجدين في هذا تثبيتاً لقلبكِ،
وتعزيةً لروحكِ،
وتزدادين يقيناً أنَّ هذا الدِّين واحد عند اللّه،
بدأ بآدم عليه السَّلام وخُتم بمحمدٍ ﷺ!
تختلفُ الشَّرائع، وتتفاوتُ العبادات،
أما الدِّين فواحد لا يتغيَّر عنوانه قول ربِّكِ:
«إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»
وها هو نبيُّكِ وحبيبُكِ ﷺ يَسرجُ لكِ صهوة صوته العذب،
وها أنتِ تمتطين ظهر الكلام،
وتعودين أدراجكِ إلى ماضٍ سحيق لم تعيشيه،
وتطَّلعين على غيبٍ لم تشهديه!
يقولُ لكِ حبيبكِ ومصطفاكِ وقُرَّة عينيكِ:
لم يكذبْ إبراهيم عليه السَّلام إلا ثلاث كذباتٍ
ثنتين في ذات اللّه!
قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾
وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾
وبينما هو ذات يوم وسارة
إذ أتى على جبَّارٍ من الجبابرة
فقيل له: إنَّ ها هُنا رجلاً مع امرأةٍ من أحسن الناس،

فأرسلَ إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟
قال: أختي!
فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيركِ،
وإنَّ هذا سألني فأخبرته عنكِ أنكِ أختي،
فلا تُكذبيني!
فأرسلَ إليهما، فلما دخلتْ عليه ذهبَ يتناولها بيده،
فأُخِذ!
فقال لها: ادعي اللّه أن يُطلقَ يدي، ولا أضُرّكِ
فدعتْ، فأُطلِقَ!
ثم جاءَ يتناولها الثانية، فأُخِذَ مثلها أو أشدَّ،
فدعا بعض صحبته، فقال:
إنكم لم تأتوني بإنسانٍ، إنما أتيتموني بشيطان!
فأتتْ إبراهيم وهو يُصلي، وقالتْ:
كفَّ اللّه يدَ الفاجر، وأخدمني هاجر!

والقصّة أيتها الصحابيّة باختصار:
أنَّ إبراهيم عليه السّلام عندما أخرجه قومه من العراق،
توجه بزوجته سارة إلى مصر،
وكانتْ سارة أجمل امرأة في تاريخ البشرية،
حتى ليُقال أن جمال يوسف عليه السلام بعِرّقٍ منها فهي جدَّتُه!
وكان فرعون في ذلك الوقت زير نساء،
لا يرى امرأة جميلة إلا أرادها لنفسه،

وكان قد أمر جنوده إذا رأوا امرأةً جميلة أن يخبروه بها،
فأخبره جنوده بجمال سارة،
فأرسل فرعون إلى إبراهيم عليه السلام يطلبه،
فلما حضر عنده سأله عنها،
فقال له إبراهيم عليه السَّلام: هي أختي!
لأنه يعلمُ أنه لو قال إنها زوجته،
فسيقتله، ويأخذها منه!
ولما حضر إبراهيم وسارة إلى قصر فرعون،
أمر فرعون أن تُحملَ إليه
فلما أراد أن يمدَّ يده عليها تخشَّبتْ يده!
فطلبَ منها أن تدعو الله له أن يفكه ولن يقربها،
لأنه علم أنها وإبراهيم عليه السلام موحدين يعبدون الله،
فدعتْ له، فشُفيَ،
ولكنه حنثَ بوعده، وقام يحاولُ أن يمدَّ يده عليها،
فأصابه أشد مما أصابه في المرّة الأولى،
فنادى على خدمه وأخبرهم أنَّ هذه شيطانة لا إنسانة!
وأمرَ أن يطلقوها ويعطوها هاجر هديةً لها،
فعادتْ إلى إبراهيم عليه السلام وهو يصلي، وأخبرته بالأمر،
وقيل إنَّ الله سبحانه قد كشفَ الحجاب لإبراهيم عليه السلام،
فكان يرى ما يحدث بين فرعون وسارة
تعزيةً لخليله إبراهيم،
وطمأنة لقلبه أن عِرضه مُصان!
يا صحابية،

إنَّ الكذبَ الوارد في القصة ليس هو الكذب الذي تعرفينه،
ذاك الكذب الذي يقلب الحقَّ باطلاً،
وإنما هو إخبار بغير الحقيقة للضرورة،
والإسلام العظيم دين الواقعية والحياة بامتياز،
لذلك أباح الكذب في ثلاثة مواضع!
كذب المسلمُ على أعدائه،
فليس من المنطق أن يأخذ الكفار أسيراً مسلماً،
ويسألوه عن أسرار المسلمين فيخبرهم!
وكذب المسلم لإصلاح ذات البين
فعندما تقعُ الخلافات بين الناس يجب حلَّها،
فإذا وقع بين صديقتيكِ خلاف،
جئتِ إلى صديقة منهما وقلتِ لها:
فلانة تُحبكِ، ونادمة على ما كان منها،
وقد قالتْ عنكِ كلاماً جميلاً،
دعينا لا نتحدث عما حدث، ونصلح الذي كان،
وتقولين للأخرى مثل ذلك وبهذا ينتهي الخلاف،
ولكِ أجر الصلح وليس عليكِ إثم الكذب!
وأباح الإسلام العظيم كذب الرجل على امرأته،
وكذب المرأة على زوجها،
إذا ما تعلَّقَ الأمر بجبر الخواطر، ومراعاة المشاعر،
يقولُ الرجل لزوجته: أنتِ أجمل امرأة في الدنيا،
وهو يعرفُ أنَّ هناك من هي أجمل منها،
وهي تعرفُ كذلك،

ولكن هذا ليس مضمار الحقيقة،
لأن الحقيقة هنا تكسر القلب!
وقد يمدح ثوباً لبسته وهو لا يُعجبه
وتسريحة شعرٍ وهي لا تروق له،
وطبخة جديدة وهو لم يستطِبّها،
وكل هذا داخل في باب جبر الخواطر،
وجبر الخواطر عبادة!

وما يُقال في حق الزوج، يُقال في حق الزوجة أيضاً!
سألَ رجلٌ زوجته إن كانتْ تُحبُّه، وناشدها اللّه أن تصدقه،
فقالتْ: أما إنكَ ناشدتني اللّه، فلا أُحبُكَ!
فشكاها إلى عمر بن الخطاب،
فأرسل عُمر في طلبها، وأنَّبها على ما كان منها
فقالتْ له: يا أمير المؤمنين، أتريدني أن أكذب عليه؟!
فقال لها: نعم اكذبي عليه، أَكُلُّ البيوت بُنيت على الحُب،
ألا إنَّ الناس يتعاملون بالمروءة والذمة!

يا صحابية،
صرتِ تعرفين الآن أن ما كان من إبراهيم عليه السّلام،
إنما كان من باب حُسن التدبير والحيلة،
وكذلك قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾
كان كي لا يخرج معهم إلى عبادة غير اللّه،
وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾

كان من باب إقامة الحُجة عليهم،
وكي يريهم أن هذه الأصنام التي يعبدونها من دون اللّه
إنما هي عاجزة لا تضر ولا تنفع!
فلا تكوني فظّة بدعوى أنكِ تقولين الحقيقة!
عند جبر الخواطر «الدبلوماسية» هي المطلوبة،
وعندما تقع الخلافات كوني رسول خير،
ولا تمشي بالنميمة بين المتخاصمين، فتصبين الزيت على النار
وتذكري: لا يدخل الجنة نمَّام!

يا صحابية،
من أرادتْ العِفَّة عفَّها اللّه،
إنَّ اللّه أعدل من أن يراك تطلبين الستر فيفضحك،
وأجلَّ من أن تطلبي الخير فيوقعكِ في الشَّر،
أصلحي قلبكِ ونيّتكِ ثم اتركيها على اللّه،
كل الأسباب بيده سبحانه،
شُلَّتْ يد فرعون لأنها امتدتْ إلى امرأة عفيفة،
فكوني مع اللّه يكُنْ معكِ!

يا صحابية،
الجمال، المال، والمنصب نِعَم يجب أن تُصان،
الجمال يُصان بستره وعدم كشفه إلا لصاحبه،
والمال يُصان بالحمد ومساعدة الفقراء،
والمنصب يُصان بخدمة الناس،

كوني جميلة، واهتمي بأنوثتكِ،
ضعي مساحيق التجميل،
والبسي أجمل الثياب،
واستخدمي أجمل العطور،
ولكن في موضعها، موضعها فقط!
تعلمي، واحصلي على الشهادات، وتاجري إن شئتِ،
كوني ثرية ولكن دون كبر وكفران النعمة!
وانجحي في وظيفتكِ، واسعي لمنصب أعلى،
ولكن لا تنسي أبداً أنَّ الذي رفعكِ،
قادرٌ على أن يُنزلكِ بدعوة مظلوم!

يا صحابية،
مهما كنتِ جميلة وثرية وناجحة،
كوني دوماً في كنف زوجكِ،
ولا تتكبري عليه، أو تنتقصي من رجولته!
ما هذا دأبُ الصالحات، ولا أخلاقهُنَّ،
مهما بلغتِ من الجمال فلن تصلي إلى جمال سارة،
وقد كانت في كنف إبراهيم عليه السلام،
زوجة مُحبَّة، ورفيقة درب!
ومهما بلغتِ من الثراء
فلن تصلي إلى ثراء خديجة رضي الله عنها
وقد جعلتْ كل مالها في يد زوجها،
وأعطته حين حرمه الناس،

وصدقته حين كذَّبه الناس،
وآمنتِ به حين كفرَ به الناس!
مالكِ لكِ لا شكَّ،
وهذا حقكِ الذي لا يجادلك فيه أحد،
ولكن البيوت التي يكون فيها جيبان،
وهذا لكَ وهذا لي،
العيشُ فيها لا يُطاق!

إنَّ اللّٰه لا يُضيع أهله

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
استمعتِ بشغف إلى قصة سارة في قصر فرعون،
وكيف حفظَ اللّٰه تعالى لها عِرضها،
وكيف رجعتْ إلى إبراهيم عليه السَّلام ومعها هاجر،
الخادمة التي وهبها إياها فرعون بعدما عرف أنها امرأة مباركة،
وأرى أن الشغفَ عندكِ قد تضاعف،
وأنتِ الآن تسألين: ما الذي حدثَ بعد ذلك؟
كنتِ في شغفكِ على حقٍّ تماماً،
فإنَّ الذي حدثَ بعد ذلك مُعجزة،
تستحِقُّ أن يعيرها المرءُ قلبه وعقله وسمعه!
نظرتْ سارة في نفسها وعرفتْ أنها لا تُنجب،
فقد مضى على زواجها من إبراهيم عليه السَّلام سنوات،
وكانتْ تعرفُ توقَ إبراهيم عليه السّلام للذريَّة والولد،
فأعتقتْ هاجر وطلبتْ من إبراهيم عليه السّلام أن يتزوجها
وهكذا كانٍ...
ووهبَ اللّٰه تعالى خليله بِكره إسماعيل،
وتعلَّقَ قلبُ إبراهيم عليه السلام بالولد وأمه،
وشعرتْ سارة بغيرة شديدة،
وكان منها تصرفاتٍ تكون من الزوجة إذا غارتْ من ضرتها!
فجاء إبراهيمُ عليه السّلام وأخذ هاجر وإسماعيل ومضى بهما،
في رحلة طويلة كُتبَ لها أن تُغيِّر وجه الأرض إلى الأبد!

كانت الوُجهة مكة!

المدينة التي ليس فيها أي شيءٍ من مقومات الحياة؛

لا بشر، ولا شجر، ولا ماء!

أما الكعبة فكانت قد تهدمتْ بسبب طوفان نوحٍ عليه السلام،

ولم يبقَ منها إلا أساساتها التي

غمرتها الرمال بفعل الزمان ولا يعلم بهذا إلا اللّٰه!

أعطى إبراهيم عليه السلام هاجر

جُراباً فيه تمر، وسقاءً فيه ماء،

ثم أدار ظهره ومضى!

فلحقته هاجر وقالت له:

يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي

ليس به إنسٌ ولا حياة؟!

وجعلتْ تُكرر قولها هذا،

وإبراهيم عليهِ السّلام لا يلتفتُ إليها،

فقالتْ له: آللّٰه أمركَ بهذا؟

قال: نعم

فقالتْ: إذنْ لا يُضيِّعُنَا!

فرجعتْ هاجر إلى حيث وضعها زوجها،

أما إبراهيم عليه السلام فمضى حتى إذا

كان عند «الثَّنيَّة» حيث لا يرونه

رفع يديه يدعو ربه فقال:

﴿رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾

وجعلتْ هاجر تُرضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء،
حتى إذا نَفِدَ ما في السِّقاء عطِشتْ وعطش ابنها،
وجعلتْ تنظرُ إليه يتلوّى،
فانطلقتْ كراهية أن تنظر إليه،
وجعلتْ تسعى بين الصفا والمروة علَّها تجدُ أحداً يعينها،
فلما أتمَّتْ سبعة أشواط،
ويئِستْ من الناس وعلَّقتْ كل الرجاء على اللّه،
فإذا بالذي لا يُخيِّبُ الظنون،
قد أرسلَ لها ملكاً ضرب بجناحه الأرض!
فتفجر نبعُ ماءٍ بين قدمي ابنها،
فجعلتْ تتدارك الماء بيديها خشية أن يذهب،
وتقول: زُمّي، زُمّي
فسميَ ذلكَ الماء بماء زمزم!
فشربتْ، وأرضعتْ ولدها،
فقال لها المَلكُ: لا تخافوا الضَّيعة،
فإنَّ ها هُنا بيتَ اللّهِ
يبنيه هذا الغلام وأبوه،
وإنَّ اللّه لا يُضيِّع أهله!
واكتشفت الطيور مكان الماء وجعلتْ تُحلِّقُ فوقه،
وبالقرب من ذلك مرَّتْ قبيلة «جُرهم» فرأتْ الطيور في السماء،
فقالوا: إنَّ هذا الطائر ليدور على ماء!
لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء،
فاستأذنوها أن ينزلوا عندها فأذِنتْ لهم،

وهكذا بدأتْ عِمارة مكة بالناس،
وآنس اللهُ هاجر، وأزال عنها الوحدة!

قصة ثريَّة يا صَحابيّة
لو أردنا أن نفيها حقَّها لما كفاها كتاباً،
ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعُنق،
«وما لا يُدركُ كُلُّه لا يُتركُ جُلُّه»
كما قالتْ العرب!
يُحسبُ لسارة أنها وهَبتْ هاجر لإبراهيم عليه السلام ليتزوجها،
خالفتْ فطرتها، والمرأة مفطورة على بغض الضرائر!
وما أرادتْ أن تكون سبباً في حرمان زوجها من الولد،
وعندما غارتْ فهذا مرجعه الفطرة لا قلة الإيمان،
فهي جبل من الإيمان والثبات،
ولكن الفطرة يتساوى فيها الناس جميعاً،
المؤمن والكافر على حدٍّ سواء،
ولا علاقة لمستوى الإيمان بهذا،
الإيمان يضبطُ هذه الفطرة ويؤدبها،
ويكبحُ جماح الغرائز وإن كان لا يُلغيها،
ولو نجتْ امرأة من غيرة الضرائر لإيمانها
لنجتْ من هذا سارة!
ولنجت زوجات النبيِّ ﷺ
وقد كان بينهنَّ من الغيرة ما يكون بين سائر النساء،
على أن الإيمان يضبطُ الإيقاع كلَّه!

ويجعلُ المرأة تترفع عن الظُّلم وإن غارتْ،
وهذا هو الفرق بين المؤمنة وغيرها!
فإذا ابتليتِ بضرَّةٍ فلا أقولُ لك غير:
ربطَ اللّٰه على قلبكِ فالشعور مرير
وحلاَّكِ بالصَّبرِ فإنه الزاَّد الوحيد النافع
ولكن إياكِ أن تظلمي!
لا تقولي في ضرتكِ ما ليس فيها،
ولا تقعي في عرضها وأنتِ تعرفين طهرها!
ولا تفرقي بين أولادكِ وأولادها،
فإنَّ هذا من قطع الأرحام،
وقد يرققُ اللّٰه قلوب أولادها عليكِ،
أكثر مما يُرققُ قلوبَ أولادها عليها،
وقد تجدين أحدهم في آخر عمركِ!
فاحذري أن تُخرجكِ الغيرة عن دينكِ،
فتجمعين عليكِ مرارة الدنيا وفساد الآخرة!
وتذكري أنه لا يضيعُ شيءٌ عند اللّٰه،
وأن الجزاء من جنس العمل!
فسارة كرهتْ أن تقف في وجه سعادة زوجها،
أصلحها اللّٰه تعالى على كبرها ورزقها بإسحاق عليه السلام،
الذي كان من ذريته كل نبي بُعث في بني إسرائيل بعد هذا!

يا صحابية،
لم يكن إبراهيم عليه السلام مستغنياً عن ابنه وزوجته،

كان أباً مُحباً، وزوجاً رائعاً،
ولم تكن هاجر مستغنية عن زوجها،
كانت زوجة مُحبّة، تأنس بزوجها، وتسعد بقربه،
ولكن إبراهيم عليه السّلام تركها لأنه أمرُ اللّه!
وهاجر رضيتْ بهذا الامتحان الصعب لأنه أمر اللّه!
أوامر اللّه تأتي أحياناً بخلاف الهوى
هذا لأن الدنيا دار امتحان!
أنتِ لستِ جاهلة بالموضة،
ولكنكِ تلبسين باحتشامٍ لأنه أمر اللّه!
ولستِ ناقصة أنوثة،
ولكنكِ لا تُبدين زينتكِ لأنه أمر اللّه!
وتسترين جسدكِ على أنوثته لأنه أمر اللّه!
تصومين لا لأنكِ كارهة للطعام،
وإنما لأنه أمر اللّه!
وتقومين الليل لا لأنكِ كارهة للنوم،
وإنما لأنكِ تبتغين رضوان اللّه!
أنظري إلى الأمر من هذه الزاوية،
يسهلُ عليكِ تركُ ما تحبين لأجل ما يُحبُّه اللّه!
ما أجمل هاجر في قولها: آللّه أمركَ؟
فلما قال: نعم،
هانَ عليها كل شيءٍ بعد ذلك!
الصحراء المقفرة لا تُخيفها ولو كانت وحيدة،
والحَرُّ لا يقلقها وإن كانتْ ضعيفة،

تعرفُ ملء قلبها أنَّ من أقام بأمر اللّٰه أقامَ اللّٰه أمره!
كوني على يقين الحجابُ لا يُؤخر العريس،
والسفور والزينه لا تُقرِّبه!
هي أرزاق مكتوبة ولكن الفارق بينهما،
أن أحدهما أُخذ برضوان اللّٰه والآخر بسخطه!

يا صحابيّة
أنتِ رقيقة ولكنك لستِ ضعيفة،
كُلكِ أنوثة ولكنكِ لستِ عاجزة!
أدركي الفرقَ جيداً،
لو أنَّ هاجر جلستْ تبكي بعد أن تركها إبراهيم عليه السلام،
ما لامها أحد!
ما تفعلُ امرأة وحيدة في صحراء شاسعة،
هل تحفرُ بئراً في صحراء؟!
أم تبحث عن طعام في الصَّخر،
ولكن هاجر لم تتوقف عن السَّعي رغم شدة الظروف،
أخذتْ تسعى بين الصفا والمروة،
تبحث عن أي سببٍ من أسباب النجاة،
هي تعرف أنها مأمورة بالسَّعي،
أما النتائج بيد اللّٰه وحده!
وعندما فعلتْ كل ما تستطيع،
وسعتْ بكل ما قدرتْ عليه من السعي
جاءتْ معيّة اللّٰه على هيئة معجزة!

من قال لكِ أن المعجزات لا تحتاجُ إلى سَعي أيضاً؟!
يعرفُ موسى عليه السلام ونعرفُ نحن معه،
أن العصا لا تشقُّ البحر من تلقاء نفسها!
وأنَّ اللّه سبحانه الذي شقَّ البحر بالعصا،
كان قادراً على أن يشقه من دونها،
ولكنها عبادة السَّعي،
دأبُ الأنبياء والمؤمنين على مرِّ التاريخ،
لهذا قال له اللّه: ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾

ويعرفُ نوحٌ عليه السلام ونعرف نحن معه،
أن الذي أنجاه بالسفينة،
كان قادراً على أن يُنجيه بدونها!
ولكنه بذل السبب المُستطاع ثم ترك الأمر بيد اللّه،
لهذا قال له ربه: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾

وتعرفُ مريم عليها السلام ونعرفُ نحن معها،
أن رجلاً شديداً لا يستطيع أن يهزَّ نخلة،
فضلاً على أن تهزها امرأة وضعتْ مولوداً للتو،
ولكن لا بُدَّ من بذل السبب المُتاح،
وكان لا بد من بعض السَّعي،
لهذا قال لها ربنا: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾
إنَّ الذي رزقها ولداً بخلاف الأسباب،

كان قادراً أن يرزقها تمراً بخلاف الأسباب،
ولكنه السَّعي يا صحابية!
أنتِ قوية فاسعي وعلى اللّه النتائج،
وأنتِ محاربة فلا تتكسري وباللّهِ التوفيق!

يا صحابيّة
تأملي هذه المقولة ما أعذبها:
إنَّ اللّه لا يُضيِّعُ أهله،
يحتاج الناس لمن يربت على قلوبهم،
لمن يخبرهم أن الدنيا بخير، وأنَّ القادم أجمل
ازرعي الأمل في الناس،
كوني إيجابيَّة وصانعة فرح،
أخبري المريض أن الشفاء قريب،
وذكِّريه بالذي شفى أيوب عليه السلام وقد أيِسَ منه الناس،
أخبري الراسب أنها مجرد عثرة وليست نمط حياة،
وأن ما فات اليوم يمكن تداركه غداً،
أخبري المحتاج أن خزائن اللّه ملأى،
وأنَّ الذي أعطى الغنيَّ يمكن أن يعطيه!
أخبري المحزون أن الفرح قريب،
وأنَّ في الهمِّ والغمِّ أجراً!
أخبري المكسور أن الفرج قريب،
وأن جبر اللّه سينسيه ما أصابه!
الكلمة الحلوة تُنعش الروح،

وتعين الناس على قسوة الأيام
ما أجمل أن يُعرف الإنسان بإيجابيته،
وأنه المواسي دوماً!
وأنه المعين على نوائب الدهر أبداً،
في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي
ترجمة رائعة لأبي حمزة السُّكريِّ رحمه اللّه
قال عنه الذهبيُّ:
أبو حمزة السُّكري، محمد بن ميمون
عالم جليل حافظ، لم يكن يبيعُ السُّكر
وأنما سُمِّيَ السُّكري لحلو كلامه!
يا صحابيّة،
إذا ضاقتْ عليكِ فلا تنظري في قوة المشكلة،
وإنما في قوَّة من بيده حلُّها!
يدهشُنا اللّه في الطريقة التي يُنجي بها أهله،
فكوني للّه أهلاً يكُنْ لكِ أهلاً،
وإنَّ اللّه لا يُضيِّعُ أهله!
هذه ليست مقولة مخصوصة لهاجر،
هذه قاعدة عامة، وقانون سارٍ،
وسُنَّة من سُنن اللّه في الكون،
احملي هماً واحداً وهو: كيف ترضين ربَّكِ،
ثم دعي بقيَّة الهموم له!
جرتْ سفينة نوحٍ في موجٍ كالجبال،
لأنَّ نوحاً عليه السلام ومن معه كانوا من أهل اللّه!

ولم تحرقِ النارُ إبراهيم عليه السّلام،
إلا لأنه كان من أهل اللّه!
ولم تذبح السِّكينَ إسماعيل عليه السلام
إلا لأنه أسلم نفسه للّه!
ولم يأكل الحوت يونس عليه السّلام
إلا لأنه كان طول عمره من المسبِّحين!
ولم ينشقَّ البحر لموسى عليه السَّلام
إلا لأنه كان يثق باللّه ويقول والإيمان يملأ قلبه:
﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾
زمن المعجزات لم ينتهِ،
ومعيَّة اللّهِ لعباده لا تتوقف!
وعدٌ صادق لا يُردُّ،
وقاعدة ثابتة لا تتغير
من كان مع اللّه كان اللّه معه!

أنتِ عتبة الباب!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
استمعتِ للحكاية من أولها،
كنتِ مع سارة في قصر فرعون
ومع هاجر تسعى بين الصفا والمروة
ووصل بكِ المطاف حيث جاءت قبيلة جُرهم
واستأذنت أم إسماعيل أن ينزلوا بجوارها
ولعلَّكِ الآن تسألين: ما الذي حدثَ بعد ذلك؟
مضت الآن سنواتٍ طوالٍ،
شبَّ فيها إسماعيل عليه السَّلام في أحضان جُرهم،
وتعلَّم منهم اللغة العربيَّة،
وتزوَّج امرأةً منهم أيضاً،
وماتت هاجر!
وجاء إبراهيم عليه السَّلام ينظرُ ما حلَّ بهم،
فذهبَ إلى بيت إسماعيل عليه السلام فلم يجده،
فسألَ زوجته عنه فقالتْ له: خرجَ يبتغي لنا،
فسألها عن حالهم ومعاشهم،
فقالتْ: نحن في شرٍّ، نحن في ضيقٍ وشِدَّة،
وأخذتْ تشكو إليه وهي لا تعلمُ من هو!
فقال لها: إذا جاء زوجكِ فاقرئي عليه السَّلام،
وقولي له: غيِّرْ عتبة بابكَ!
فلما جاء إسماعيل عليه السَّلام كأنه شعرَ بشيءٍ،

فسأل زوجته: هل جاءكم من أحد؟
فقالتْ: نعم، جاءنا شيخ أوصافه كذا وكذا،
فسألنا عنك فأخبرته،
وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أننا في ضيقٍ وشِدَّة،
فقال لها: هل أوصاكِ بشيءٍ؟
فقالتْ: نعم، أمرني أن أقرأ عليكَ السَّلام،
ويقول لكَ غيِّرْ عتبة بابكَ!
فقال لها: ذاكَ أبي، وقد أمرني أن أُطلقكِ، فالحقي بأهلكِ!
وتزوَّج إسماعيل عليه السَّلام امرأة أخرى،
وعادَ إبراهيم عليه السَّلام مرَّةً أخرى لزيارة ابنه،
فلم يجده أيضاً، ووجدَ زوجته الجديدة،
فسألها: أين زوجكِ؟
فقالتْ: خرجَ يبتغي لنا!
فقال لها: كيف أنتم، وكيف عيشكم؟
فقالتْ: نحن بخيرٍ وسَعةٍ، وأثنتْ على اللّهِ خيراً!
فقال: ما طعامكم؟
قالت: اللحم
فقال: وما شرابكم؟
فقالتْ: الماء
فقال: اللهم باركْ لهم في اللحم والماء
ولم يكن عندهم طعام غيره، ولو كان عندهم، لدعا بالبركة أيضاً!
ثم قال لها: فإذا جاء زوجكِ فاقرئي عليه السَّلام،
وقولي له: ثبِّتْ عتبة بابك!

فلما جاء إسماعيل عليه السَّلام قال لها: هل أتاكم من أحد؟
فقالتْ: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وسألني عنكَ فأخبرته،
وسألني عن عيشنا فأخبرته أننا بخير!
فقال: فهل أوصاكِ بشيءٍ؟
قالتْ: نعم، هو يقرأ عليكَ السَّلام
ويأمركَ أن تُثبِّت عتبةَ بابكَ!
فقال: ذاك أبي، وأنتِ العتبة، وقد أمرني أن أُمسككِ!

يا صحابيّة،
مهما كنتِ على حقٍّ،
ومهما كانت دعواكِ صادقة،
الأسلوب أولاً!
يمكنكِ أن تقولي الأشياء القاسية بطريقة لطيفة،
تصلين إلى مبتغاكِ ولا تجرحين الخاطر،
وانظري ما أحسن الكناية التي استخدمها أبوكِ إبراهيم!
قولي له: غيِّرْ عتبةَ بابكِ!
كان بإمكانه أن يقول لها:
أنا أبوه، وقولي له أن يُطلقك!
مع أن النتيجة واحدة نهاية المطاف،
ولكنه أدب الأنبياء!
إنهم يختارون أجمل الألفاظ ويلبسونها لأفكارهم!
وإنَّ لكِ فيهم قدوة حسنة!

يا صحابية،
لقد رأيتِ أن إبراهيم عليه السَّلام حين أمر ابنه بتطليق زوجته،
لم يعِبّ عليها في عرضها، معاذ اللّه!
ثم إنَّ بيوت الأنبياء ليست معصومة من الكفر،
ولكنها معصومة من الزنا
وخيانة زوجتي لوط ونوح عليه السلام الواردة في القرآن،
هي خيانة في العقيدة والكفر لا في الفِراش!
ولكنه عابَ عليها كثرة شكواها وقلة شكرها،
فالمرأة التي لا تقنعْ مرضٌ عُضال يُفسِدُ الحياة!
فاقنعي يرحمكِ اللّه!
إنَّ اللّه تعالى قد قسم الأرزاق بين عباده عن حكمة يعلمها،
لم يحرمكِ عن فقرٍ منه سبحانه!
ولم يعطِكِ كما أعطى غيركِ لأن الدنيا دار امتحان،
وأنتِ مأمورة بالصبر عند القلة والحرمان،
ومأمورة بالشكر عند الكثرة والعطاء،
والصابر والشاكر في الأجر سواء!
كلاهما نجح في امتحان العبودية!

يا صحابية،
كما رأيتِ فإنَّ إسماعيل عليه السلام
لم يدَّخِرّ جُهداً لتأمين قوت عائلته،
باعتراف زوجته الساخطة حين قالتّ:
خرجَ يبتغي لنا!

ولكن هذا هو رزقه الذي قسمه اللّه له!
فإن ابتليتِ وزوجكِ بقلة الرزق،
فكوني له عوناً على الدنيا ولا تعيني الدنيا عليه!

يا صحابيّة،
كلنا نملك نفس العين ولكننا لا نملك نفس النظرة!
أحياناً لا يكون الخلل في المشهد،
وإنما في العين التي تنظُر إليه،
إسماعيل عليه السَّلام هو إسماعيل مع الزوجتين،
لم يتغيَّرّ حاله، ولم تتبدل مصادر رزقه،
ليس له من طعام إلا ما يصطاده بقوسه،
قد كان عليه السلام من أمهر الناس بالرَّمي،
ولكن نظرة كل واحدةٍ من الزوجتين للحياة مختلفة!
الأولى كثيرة السخط، قليلة الرضا،
والثانية قليلة السخط، كثيرة الرِّضا،
هذا لأنَّ الغنى مصدره ما في القلب،
لا ما في الجيب!
وحين يتأدبُ العبد مع ربه يهُنّ عليه كل شيء،
يمرضُ شخصٌ فيشتكي على اللّه ويتسخَّط،
ويمرضُ آخر فيصبر، ويحمدُ، ويدعو،
كلاهما في المرض سواء!
ولكن ما بين قلبيهما كما بين السماء والأرض في المسافة،
الحياة امتحان عبودية يا صحابية فلا تفشلي!

امرأةٌ من نوعٍ آخر!

أنتِ أيضاً صحابيَّة،
تُحبين أن تُرافقي نبيَّكِ وحبيبكِ ﷺ في أسفاره،
تعرفين أن السَّفر معه مُتعة،
رؤية وجهه تُنسيكِ عناء الطريق،
وحُلو حديثه يُبدّد مشقّة الدَّرب!
وها أنتِ الآن معه في سفرٍ،
وقد نزلَ ﷺ في ضيافة أعرابيٍّ فأكرمه وأحسن ضيافته،
ولأنَّ نبيُّكِ وحبيبُكِ ﷺ لا ينسى معروفاً أُسديَ إليه،
قال ﷺ للأعرابي: يا أعرابيُّ ائتنا!
بأبي هو وأمي يريدُ أن يردَّ معروف الأعرابي،
وبالفعل لم تطلْ المُدّة بالأعرابي حتى جاء،
فقال له النبيُّ ﷺ: يا أعرابي سلني حاجتكَ!
فقال: ناقة نركبها، وأعنزٌ يحلبها أهلي!
ولأنه نبيٌّ ﷺ يُحِبُّ معالي الأمور
قال للأعرابي كالمُعاتب: أعجزتَ أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل؟!
لا شكَّ أن الفضول يتملككِ الآن!
وتريدين أن تعرفي ما شأن عجوز بني إسرائيل؟
وهذا هو حال الصحابة أيضاً!
إنهم يسارعون بالسؤال: وما عجوز بني إسرائيل يا رسول الله؟
فأخبرهم أن يوسف عليه السلام كان قد أوصى قومه،

إذا خرجوا من مصر أن يحملوه معهم ليُدفن في فلسطين،
ومضت الأعوام، سنة وراء سنة، وقرن وراء قرن!
وأعلمَ موسى عليه السَّلام بني إسرائيل،
أنَّ وقت الخروج من مصر قد حان!
فأخبروه بوصية أخيه يوسف التي توارثوها جيلاً بعد جيل،
فسألهم عن قبر يوسف ليأخذ جثمانه وينفذ وصيته،
ولكن المفاجأة كانت أنه لا أحد يعرف مكان القبر!
إلا عجوزاً من بني إسرائيل عرفت هذا من أجدادها،
فطلب منها موسى عليه السلام أن تدله على مكان القبر،
فرفضتْ أن تخبره حتى يعطيها وعداً،
أن تكون رفيقته في الجنة!
فرفضَ موسى عليه السَّلام هذا الشرط،
لأنه لا يملك أن يُدخل الناس الجنة!
فأوحى اللّه تعالى إليه أن أعطِها ما طلبتْ!
فدلتهم على مستنقع، وقالت:
جففوا الماء هذا، فإنَّ تحته قبر يوسف عليه السلام،
وهكذا كان!

يا صحابيّة،
إذا أسدى إليكِ أحدٌ معروفاً فلا تنسيه،
وابقي متحينة الفرصة لترديه،
هكذا كان دأبُ نبيُّكِ وحبيبُكِ ﷺ دوماً!
ضيافة عابرة من أعرابي لم يتركها واحدة عليه،

طلب من الأعرابي أن يأتيه ليكرمه،
احفظي للناس معروفهم وانتظري دورة الأيام،
فإذا حان دورك فكوني على الموعد!
وحتى إذا لم تُسعفكِ اللحظة أن تردي المعروف،
فكوني أرقى من أن تنكريه!
ناكر المعروف لا يحترمه أحد!
عندما رُجم النبيُّ ﷺ في الطائف،
وأراد العودة إلى مكة،
وجد أن زعماءها قرروا أن يمنعوه من دخولها،
فطلبَ من المطعم بن عديٍّ أن يجيره،
وكان المطعم بن عدي رجلاً شهماً رغم شركه وكفره،
فأجار النبيَّ ﷺ،
وأدخله إلى مكة تحت حمايته ورعايته،
وماتَ المطعم بن عديٍّ قبل أن يردَّ له النبيُّ ﷺ معروفه!
ولكنه بعد معركة بدر نظر في أسرى قريش،
وقال: لو أن المطعم بن عديٍّ كلمني في هؤلاء النتنى،
لأطلقتهم له!

انظري للوفاء يا صحابيَّة،
قوم جاؤوا لقتاله ولو أُتيحت لهم الفرصة لقتله لفعلوا،
ولكنه على استعداد أن يُطلق سراحهم!
لو طلب منه ذلك الرجل الذي أسدى إليه معروفاً!

يا صحابيّة،
الرَّبُ الذي كان يوحي إلى موسى عليه السَّلام،
كان قادراً أن يدله على مكان قبر يوسف عليه السَّلام،
ويوفر عليه عناء المفاوضات مع امرأة عجوز،
ولكن الرَّبَّ الرَّحيم الذي يُجازي على النوايا الحسنة،
علِمَ تعلّقَ هذه المرأة به وشوقها إلى الجنّة،
فلم يكشف لرسوله ما تعرفه هذه المرأة،
وإنما تركَ علمها مخفياً عن رسوله ليعطيها الجنّة!
ضعي اللّه في نيَّتكِ وقصدكِ،
اصدقي في طلب رضوانه وجنته،
وسيعطيكِ هذا على أيسر الطرق وأهون الأسباب!
الصدق مع اللّه فقط هو السر،
ولا أحد أكرم من اللّه يا صحابيَّة!
جاء أعرابيٌّ لا يعرفه من الصحابة أحد،
فبايع النبيَّ ﷺ على الجهاد والهجرة،
وخرجَ معه في قتالٍ منَّ اللّه تعالى فيه بالنصر على المسلمين،
وقسم النبيُّ ﷺ الغنائم بين أصحابه،
وكان الأعرابي غائباً فتركَ له النبيُّ ﷺ نصيبه،
فلما جاء قيل له: ترك لكَ النبيُّ ﷺ هذا!
فأخذ الغنائم وذهبَ إلى النبي ﷺ وقال له:
ما هذا يا رسول اللّه؟
فقال له: قسمته لكَ!
فقال: يا رسول اللّه، ما على هذا بايعتُكَ!

ولكني بايعتُكَ على أن أُرمى بسهمٍ ها هنا
يخرج من ها هنا فأدخل الجنة وأشار إلى رقبته!
فقال له النبيُّ ﷺ: إن تصدق اللّه يصدقك!
ثم كانتْ غزوة أخرى خرج هذا الأعرابي فيها ،
فجيء به شهيداً والسَّهم مغروز في رقبته حيث أشار،
فقال النبيُّ ﷺ: أهو هو؟
فقالوا: نعم يا رسِول اللّه!
فقال: صدقَ اللّه، فصدقه اللّهُ!

يا صحابيّة،
كوني طموحة واغتنمي الفُرص!
ولا تكوني كالأعرابي الذي سنحتْ له فرصة ذهبيّة،
بإمكانه أن يستغلها أحسن استغلال،
فطلبَ شيئاً زائلاً من دنيا زائلة!
صحيح أن اللّه يُحِبُّ أن يُسأل،
وقد أوحى إلى موسى عليه السلام فقال:
يا موسى سلني علفَ دابتكَ، وملح عجينتك، وشِراك نعلك
ولكن الفكرة أن تُعلقي قلبكِ بالجنَّة!
كل ما حال بينكِ وبينها فاتركيه!
وكل ما أبعدكِ عنها فدعيه غير مأسوفٍ عليه!
ومن اللّه العوض!

يا صحابيّة،

اسألي عما لا تعرفينه،

لا عيب في هذا أبداً !

العيب أن يعتبر الإنسان نفسه علاَّمة زمانه،

فهذا موسى عليه السلام كليم اللّه،

يسأل عن مكان قبر يوسف عليه السلام لأنه لا يعرف مكانه،

لم يولد أحدٌ متعلماً!

ولكنا نجهل أشياء كثيرة،

فاعبدي اللّه على بينة،

اسألي عن أمور دينك لتعبدي اللّه عن علم!

اقرئي، وتثقفي، وازدادي علماً ومعرفة،

المعرفة قوة!

سيدة الكعب العالي!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
تُعجبكِ أخبار النساء في الأمم السَّابقة،
وها أنتِ اليوم على موعد مع خبر من هذا،
وها هو نبيُّكِ وحبيبُكِ ﷺ يقول لكِ:
كانت امرأة من بني إسرائيل قصيرة،
تمشي مع امرأتين طويلتين،
فاتخذتْ رجلين من خشب،
وخاتماً من ذهبٍ مُغلقٍ مُطبق،
ثم حشته مسكاً وهو أطيب الطيب،
وكانتْ إذا مرَّتْ بالمجلس حرَّكته فنفح ريحه!

يا صحابيَّة:
اسمعي مني حقائق لا مراء فيها،
ثم تعالي بعد ذلك أُريكِ روعة هذا الدِّين وعظمته،
تُحِبُّ المرأة الزينة لأسباب ثلاثة:
الأول: لأنها تُحِبُّ أن ترى نفسها جميلة،
الثاني: لأنَّ عندها غريزة أن تُشتهى،
الثالث: لأنها تميل إلى الرجل أكثر مما يميلُ إليها!
فأما إنها تُحِبُّ أن ترى نفسها جميلة،
فهذه تُعَدُّ في باب الفضائل!
فإنَّ الله تعالى جميلٌ يُحِبُّ الجمال،

وإنه سبحانه يُحِبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده!
وأما إنها عندها غريزة أن تُشتهى،
فهذه حكمة اللّه البالغة لاستمرار النوع البشري وعمارة الأرض،
ولولا هذه الغريزة ما تجمَّلتْ امرأة ولا رقَّتْ لرجل،
ولما كان قد تحقق هذا الاستخلاف وتلك العمارة!
وأما إنها تميلُ إلى الرجل أكثر من ميل الرجل إليها،
فهذا راجع إلى أصل الخِلقة!
فإنَّ اللّه سبحانه قد خلق حوَّاء من ضلع آدم عليه السلام،
فهو بالنسبة إليها الكُلُّ الذي جاءت منه،
وأما هي بالنسبة إليه الجزء الذي أُخذ منه،
وتعلق الجزء بالكل أقوى من تعلق الكل بالجزء!
إن الغصن بالنسبة إلى الشجرة بعضها،
أما الشجرة بالنسبة إلى الغصن كله!
ولكن سبحانه من أخفى هذا الميل بالتمنع والكبرياء،
فنجد المرأة متمنعة في سلوكها،
ومن الداخل هي في أشدِّ المَيْلِ!

يا صحابيّة،
إنَّ النبيَّ ﷺ ما حدَّث عن هذه المرأة في معرض الذم،
لاتخاذها الزينة والعِطر والخاتم،
فهي أشياء تميلُ إليها بالفطرة والغريزة،
وإنما ذمَّها لمكان اتخاذ هذه الزينة وذلك العطر!
إن الأنوثة تفعل في الرجال فعل النار في الحطب!

لهذا أمرَ الشَّارع الحكيم المرأة بعدم إبداء زينتها،
فالإسلام لا يعمدُ إلى إطفاء الحريق فقط!
إنه يمنعُ سبب اندلاعه ابتداءً،
فتجنب الوقوع في المشاكل أقل كلفة من حلها إذا وقعتْ،
وهذا باب عظيم من أبواب الشريعة اسمه:
باب سدِّ الذَّرائع!
فعندما أسكنَ اللّٰه تعالى أبوينا في الجنة،
قال لهما: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾
مع أنَّ المنهي عنه هو الأكل منها فقط،
ولكن الاقتراب من الشجرة سيحرض على الأكل منها،
ولم يقل اللّٰه تعالى: ولا تزنوا!
وإنما قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾
فنهى عن كل ما ييسر الوقوع فيه،
فالاختلاط من غير حاجة،
والزينة في غير موضعها،
والحديث الطويل،
والأخذ والرد،
والمصافحة،
واتخاذ الصديق والصديقة للفضفضة،
يجعل باب الزنى مشرعاً،
والإسلام يُغلقُ كل بابٍ يؤدي إلى الحرام!

يا صحابيَّة،
الإسلام ليس ضدَّ أن تكوني جميلة،
وإنما السؤال: جميلة لمن، وفي عيون مَنْ؟
وليس ضد أن تكوني أنثى رقيقة ذات دلال وغنج،
وإنما هذه الرقة لمن؟ وهذا الغنج لمن؟
وليس ضد أن تميلي إلى الرجل،
وإنما السؤال: هل هذا الميل مشروع أم لا؟
إنَّ الزينة في الطريق إثم،
والزينة في البيت أجر!
وإن الدلال والغنج لمن ليس له هذا إثم ،
والدلال والغنج للزوج أجر!
الإسلام ليس ضد الفطرة ولا الغريزة،
ولكنه يضع هذه الفطرة موضعها!
ويجعل تلك الغريزة في الحلال،
إنه بهذا المعنى ليس نهياً مطلقاً،
وإنما نهيٌّ موجَّه،
هدفه حمايتكِ أنتِ أولاً!
ثم حماية الآخرين منكِ أنتِ ثانياً!
أنظري للأمر من هذه الزاوية!

يا صحابيَّة،
الرِّجلان من خشب في هذه القصة،
هما الكعب العالي اليوم!

والخاتم المملوء عطراً ليفوح،
هو نفسه العطر الذي غرقت به الثياب اليوم!
اختلفت أنواع الغِواية وصورتها،
أما النتيجة فواحدة!
الإسلام ليس ضد مستحضرات التجميل،
ولا أقلام الكحل والعطور،
هذه ليست إلا أدوات حرمتها وحلِّها في كيفية استخدامها!
كل عطر في محله أجر،
وكل قلم كحلٍ ليس في موضعه وزر!
الإسلام ليس ضد أنوثتكِ أبداً،
ولكنه ضد أن تكوني مشاعاً،
وليس ضد دلالكِ وغنجكِ أبداً،
ولكنه ضد أن تكوني سهلة المنال،
أو أن توحي للآخرين بأنك كذلك!
إنَّ اللّه تعالى قال مخاطباً أمهات المؤمنين:
﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾
لقد نهى أمهات المؤمنين وهُنَّ أشرف النساء
عن ترقيق أصواتهن، والحديث بلهجة أنثوية،
مع خير رجال مروا في هذا الكوكب وهم الصحابة!
كي لا يُمني أحد ما نفسه بشيءٍ!
فالنهي ليس نهي تشكيك
وإنما نهي حماية، وسد باب الذَّرائع!
فلا توقدي ناراً أنتِ أول من سيحترق بها،

ثم إنَّ المتاح للجميع مقرف!

وللّهِ درُّ عليّة بنت المهدي حين قالتْ:

نحن نساء مع رجالنا، رجال مع غيرهم!

أمسكي نصالكِ!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
تُحبين القدوم إلى المسجد حيث النبيُّ ﷺ،
من ذا لا يُحبُّ أن يكون حيث كان حبيبه؟!
وفي المسجد مرَّ رجلٌ معه سِهام،
فقال له النبيُّ ﷺ: أمسِكْ بنصالها!
وقال يوماً: إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل،
فليمسك على نصالها
وليقبض عليها بكفِّه كي لا يصيب أحداً من المسلمين منها شيء!

يا صحابيَّة،
كان نبيُّكِ وحبيبُكِ ﷺ حريصاً أن لا يُصاب أحدٌ من المسلمين بأذى
وإن كان هذا الأذى غير مقصود!
لهذا أمر الرجل الذي مرَّ بالمسجد أن يمسك نِصال سهامه،
على أنَّ النَّصل ليس حكراً على الرماح والسهام،
فاللسان له نصل جارح أيضاً!
وقد يُحدث في الناس جرحاً أعمق،
مما تُحدثه الرماح والسِّهام!
لأنَّ جروح الرماح والسهام تشفى بسرعة،
أما جروح اللسان فلا تلتئم!

إنها تبقى تنزُّ ألماً في القلب،
فأمسكي نصالكِ!

يا صحابيَّة،
إنَّ من أسوأ ما اُبتليَ به الناس في زمننا،
أنهم يخلطون بين الصراحة والوقاحة!
الصراحة حين تُخطىء صديقة لكِ،
فتحدثينها بكل حُب وتخبريها بخطئها،
كي لا تأخذها العزَّة بالإثم!
الصراحة حين تُدافعين عن عرضٍ يُنتهك،
وعن غائبة يُلاك لحمها،
الصراحة حين تُقدمين النصيحة على طبقٍ من لطف،
فتكون للّه، وفي اللّه،
وما عدا ذلك وقاحة!
نعم وقاحة وإن كانت هي الحقيقة!
عندما تخبرين القبيحة أنها قبيحة،
فهذه وقاحة وإن كانت هي الحقيقة!
وعندما تخبرين المرأة الفرحة بفستانها
أنه مضحك وبخلاف الموضة فهذه وقاحة وإن كانت هي الحقيقة!
وعندما تنتقدين تسريحة فلانة فتحزني قلبها أمام الناس،
فهذه وقاحة وإن كانت تسريحتها مضحكة!
ليس كل الحقائق تُقال!
ثم من قال إن من شأنكِ إخبار الناس بالحقائق،

جبر الخواطر أهم من الحقيقة إن لم يكن في الأمر معصية!
والمجاملة أهم من الحقيقة إن لم يكن في الأمر حرام!
فلا تكوني جارحة!

يا صحابيَّة،
إن كلمة قد تقولينها ولا تحسبين أبعادها،
ولا أثرها في نفس من يستمعها،
تنسينها أنتِ أما هو فلا ينام ليلته منها!
ادخلي بيوت الناس عمياء واخرجي منها خرساء!
ما شأنكِ بكيف هي صابرة على زوجها رغم فقره وطبعه،
لماذا تهدمين البيوت، وتفرقين الود!
إن الناس تحتمل واقعها بالعافية،
وكل إنسان فيه ما يكفيه،
فلا تكوني أنتِ والدنيا على الناس!
إن كان عندكِ كلمة حلوة فبارك الله بكِ،
وإن لم يكن عندكِ فبارك الله سكوتكِ،
ما شأنكِ أنتِ بالسبب الذي
لا يجعل جارتكِ تشتري ثوباً جديداً لكل مناسبة،
من قال لكِ أنها لا تتمنى ذلك!
ولكن البيوت أسرار وكان الله في عون الناس،
ما شأنكِ أنتِ بالسبب الذي يجعل صديقتكِ
تصبر على أثاث بيتها القديم ولا تقوم بتغييره!
هل كل الناس يستطيعون ما تستطعين؟

هل كل الناس لهم إمكاناتكِ وأموالكِ؟
الناس تعرفُ الحرمان جيداً!
وما من إنسان إلا ويتعذب بما يفقد وما لا يستطيع
فلمَ ترشين الملح على جروح الناس؟!

يا صحابيَّة،
قال حبيبُكِ ﷺ: من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر
فليقُلْ خيراً أو ليصمتْ!
هذه هي المعادلة باختصار:
إما كلام جميل، أو صمت جميل!
الكلام أناقة!
أناقة أكثر من الثياب الجميلة،
أناقة أكثر من مستحضرات التجميل،
أناقة أكثر من العطور والمجوهرات،
فكوني أنيقة!
اختاري أجمل العبارات مهما كان المضمون،
الأشياء السيئة يُمكن أن تُقال بأساليب جيدة،
كما أن الأشياء الجيدة تفسدُ بالأساليب السيئة!

رأى أحد الملوك في منامه
أن جميع أسنانه قد سقطتْ أمامه وهو ينظرُ إليها،
فطلب من مساعديه أن يحضروا له من يُعبِّر له الرؤيا،
فلما استمع المُعبِّرُ للرؤيا من الملك،

قال له: إن جميع أهلك سيموتون أمامكَ واحداً تلو الآخر!
فغضبَ الملكُ من كلام المُعبِّر وأمر بحبسه،
ثم طلب من مساعديه أن يحضروا مُعبِّراً غيره!
فلما جاء المُعبِّر الثاني واستمع لرؤيا الملك،
قال له: إنَّ جميع أهلك سيموتون أمامكَ واحداً تلو الآخر،
فغضبَ الملكُ وأمرَ بحبس المُعبر الثاني أيضاً!
ثم طلب من مساعديه أن يحضروا مُعبراً جديداً،
وعندما جاء المُعبِّر الثالث واستمع لرؤيا الملك،
قال له: يا لها من رؤيا جميلة يا جلالة الملك،
أنتَ ستكون أطول أهلك عُمراً!
فرح الملكُ بهذا التأويل وأمر بجائزة للمُعبِّر،
إن التأويل هو نفسه ولا جديد فيه،
فما دام الملك هو الذي سيكون الأطول عمراً في العائلة،
فهذا يعني أن الجميع سيموتون قبله،
لم يختلف التأويل وإنما اختلفَ الأسلوب فقط!
فانتقي أساليبكِ!

سِتْرٌ رغم المرض!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
وتُحبين أن تعرفي أخبار أخواتكِ الصَّحابيات،
وأنتِ اليوم مع واحدة منهنَّ،
عيشي هذه الحادثة، وتأملي هذا المشهد!
قال عبد اللّه بن عبَّاس لتلميذه عطاء بن أبي رباح:
ألا أُريكَ امرأةً من أهل الجنَّة؟
فقال له عطاء: بلى!
فأشار ابن عباسٍ بإصبعه وقال:
هذه المرأة أتت النبيَّ ﷺ فقالت له:
يا رسول اللّه، إني أُصرع، وإني أتكشف، فادعُ اللّه لي!
فقال لها النبيُّ ﷺ: إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنَّة،
وإن شئتِ دعوتُ اللّه أن يُعافيك!
فقالتْ: بل أصبر، ولكني أتكشَّف، فادعُ اللّه لي أن لا أتكشف!
فدعا لها!

يا صحابية،
كانتْ أختكِ هذه تُعاني من مرض الصرع،
فإذا جاءتها نوبة الصرع، سقطتْ أرضاً،
وفي لحظة غياب وعي سقط حجابها عن رأسها،
وانكشف شيءٌ من عورتها،
فجاءتْ إلى طبيب القلوب والأبدان ﷺ تشكو إليه،

فخيرها بين أن يدعو لها بالشفاء،
وبين أن تصبر، ويكون جزاء صبرها الجنة!
ولأن الصحابية لا تجد شيئاً أثمن من الجنة،
اختارت المرض على الشفاء!
ولكن عزَّ عليها أن ينكشف منها شيء،
رغم أنها غير مؤاخذة، والأمر ليس بيدها،
إلا أن الدُرَّة المصونة لا يهون عليها عرضها!

يا صحابيَّة،
إياكِ أن تُفرِّطي في السَّتر،
إياكِ أن تكشفي شعركِ للناظرين،
لا تكوني مشاعاً يأكُلكِ الرجال بعيونهم،
لا تهوني على نفسك فتهونين عند الله!
وإياكِ وحجاب التبرج!
ذاك الحجاب الذي فيه من السفور أكثر مما فيه من الحجاب!
الحجاب أكثر من تغطية الشَّعر،
وليس حجاباً ذاك الذي لا يكون فيه بين لبس المحجبة وغيرها،
تلك القطعة من القماش التي تغطي الرأس!
تغطية الرأس ليس حجاباً إذا كانت الثياب تُفصل جسدكِ!
الحجاب لباس ساتر للجسد لا يصف ولا يشف،
أما كشف الرقبة، والسواعد، والساق فهذا حجاب موضة،
لا حجاب دينٍ وشريعة!

يا صحابيَّة،
كانت أخواتكِ الصحابيات يعزُّ عليهن أن تتكشف أقدامهنَّ!
وحدَّث النبيُّ ﷺ يوماً أصحابه فقال:
من جرَّ ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة،
فقامت أم سلمة وقالتْ له:
كيف تصنع النساء بذيولهنَّ/ أطراف الثياب؟
فقال: يرخينَ شبراً!
فقالتْ: إذنْ تتكشفُ أقدامهنَّ،
فقال: يرخينَ ذراعاً ولا يزدنَ عليه!
يا للستر يا أم سلمة، يا للستر!
يقول لها النبيُّ ﷺ: ارخي ثوبكِ شبراً،
فتخبره أن هذا لا يكفي وأن القدم تتكشف!
فأمرها، وأخواتها أن يزدنَ ثيابهن ذراعاً!
هكذا كانت أخواتكِ يجادلنَ في الستر لا في التكشف،
تريدُ إحداهُنَّ رخصةً لتزيد في السَّتر،
ويعزُّ عليها أن تُرى قدمها!

يا صحابيَّة،
تقولُ امرأة من الأنصار: دخلتُ على أم سلمة،
فدخلَ عليها النبيُّ ﷺ وكأنه غضبان،
فاستترتُ بكُمِّ ثوبي!
فتكلَّم بكلام لم أفهمه،
فلما خرجَ قلتُ: يا أم المؤمنين وكأني رأيتُ النبي ﷺ غضبانَ؟

قالتْ: نعم، أو ما سمعتيه؟

قالتْ: وما قال؟

فقالت أم سلمة: قال: إنَّ السوء إذا فشا في الأرض،

فلم يُتناهَ عنه،

أنزل اللّٰه عزَّ وجل بأسه على أهل الأرض!

فقلتُ: يا رسول اللّٰه، وفيهم الصالحون؟

قال: نعم، وفيهم الصالحون، يصيبهم ما أصاب الناس،

ثم يقبضهم اللّٰه عزَّ وجل إلى مغفرته ورحمته!

والشّاهد في هذه القصة أن المرأة غطّتْ وجهها بكُمِّها

حين دخل النبيُّ ﷺ

تخيلي هذا المشهد معي!

إنها تحتجبُ من النبيِّ ﷺ وهو أطهر مخلوق!

وهي تعلمُ أنه أتقى الناس للّٰهِ!

لهذا أنتِ مأمورة بالستر حتى عن الأتقياء!

يا صحابيّة،

دخلتْ حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر

على عمتها عائشة رضي اللّٰه عنها،

وكانت حفصة ترتدي خماراً شفافاً يُظهر وجهها،

فقامتْ عائشة وشقَّتْ خمار حفصة،

وقالت لها: أما تعلمين ما أنزل اللّٰه في سورة النور؟!

ثم أعطتها خماراً كثيفاً!

تُرى لو رأتْ عائشة حجاب اليوم ماذا تفعل

فاتقي اللّه يا صحابيَّة!

يا صحابيّة،

عندما مرضتْ فاطمة الزهراء مرضها التي ماتتْ فيه،

دخلتْ عليها أم جعفر بنت محمد وكانتْ ممن هاجرنَ إلى الحبشة،

فقالتْ لها فاطمة: يا أم جعفر إني قد استقبحت

ما يُصنعُ بالمرأة إذا ماتتْ،

يُطرحُ عليها الثوب فيصفها كما الرجال إذا حُملوا!

فقالتْ لها أم جعفر: يا ابنة رسول اللّه ﷺ

ألا أُريكِ شيئاً رأيته بالحبشة؟

فقالتْ لها فاطمة: بلى!

فدعتْ أم جعفر بجرائد نخيل،

فوضعتها على أطراف النعش ثم طرحتْ فوقها ثوباً،

فأعجبَ ذلكَ فاطمة جداً وقالتْ:

ما أحسن هذا وأجمله!

يا للستر يا فاطمة، يا للستر!

إنها تخشى أن يكون جسدها مفصلاً وهي ميتة!

فهل يليقُ بالصحابيّة أن تفعل هذا وهي حيَّة؟!

لا واللّهِ يا صحابية، لا يليق!

خِلافُ زوجي!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
وتُحبين أن تدخلي بيوت أخواتكِ الصحابيات لتتعلمي،
فالبيوت تتشابه، والناس هم الناس في كل عصرٍ،
وها أنتِ اليوم في رفقة نبيكِ وحبيبكِ ﷺ
وقد جاء لزيارة ابنته فاطمة!
لم يجد النبيُّ ﷺ عليَّ بن أبي طالب في البيت،
فسأل فاطمة عنه،
فأخبرته انه قد حدث بينهما خلاف زوجي،
فخرجَ من البيتِ ولا تعرفُ أين هو الآن!
فتركها النبيُّ ﷺ وخرج أيضاً،
وطلب من رجلٍ أن يبحث له عن عليٍّ،
فعادَ إليه وأخبره أنه نائم في المسجد،
فذهبَ إليه، فإذا هو نائم وقد وضع خدَّه على الأرض،
وقد أصابَ التراب خدَّه،
فقال له: قُمْ أبا تُراب!
وجعلَ النبيُّ ﷺ يمسحُ بيده الشريفة التراب عن وجهه!

يا صحابيَّة،
لعلَّكِ لاحظتِ أن النبيَّ ﷺ لم يسأل ابنته عن سبب الخلاف،
الذي وقع بينها وبين زوجها،
ولم يطلب منها أن تسردَ عليه وقائع الحادثة،

ولا ماذا قالت له،
ولا ماذا قال لها!
أراد أن يُعلمكِ أن البيوت أسرار!
وقد أحبَّ أن يحفظ سرَّ ابنته،
فإذا وقع بينكِ وبين زوجكِ خلاف،
فلا تُسارعي بنشر غسيل هذا الخلاف،
ولو أمام أهلكِ!
اُتركي الأمر بينكِ وبينه ما استطعتِ،
فإنكما ستصطلحان نهاية المطاف،
فلا داعي لأن تتشوه صورة زوجكِ عند أهلكِ،
دعيهم يحبونه، ودعيه يُحبُّهم،
لا تجعليهم يشعرون أنكِ تعيشين في ميدان حرب،
لأنكِ تُخفين عنهم ساعات الهناءة معه،
وتنشرين ساعات الخصام !
فالخلاف يبقى صغيراً ما دام حبيساً بين جدران البيت،
ومتى خرجَ من الباب وتناقله الناس،
صار ككرة الثلج التي كلما تدحرجتْ صارت أكبر!

يا صحابيَّة،
الخلافات الزوجية تقعُ في كل البيوت،
وهي شيء طبيعي جداً!
المهم إذا وقعتْ أن لا تُهدر فيها الكرامات،
ولا تُستباحُ فيها الحُرمات!

ولا يُفجر فيها بالخصومة!
حتى إذا اصطلحنا بقي أحدنا قادراً
على أن ينظر في عين الآخر!
مشاكل الحياة تُسَوَّى،
ولكن جروح القلب والكرامة من العسير أن تلتئم!

يا صحابيَّة،
لا شيء أجمل من خلاف النبلاء!
غضبتْ فاطمة رضي اللّه عنها فتركها عليٌّ وخرج ريثما تهدأ،
لا تقفي أمام زوجكِ نافشة ريشكِ كالديكِ،
تردين عليه الكلمة بعشر كلمات،
اتركيه ريثما يهدأ،
الردود وقت المشكلة تفاقمها،
وما يُقال في تلك اللحظة ،
قد يكون موجعاً أكثر من المشكلة نفسها!
تواري قليلاً في غرفتكِ،
توضئي وصلي ركعتين وأطفئي نار الشيطان،
إن إبليس يضع عرشه على الماء،
ثم يبعثُ سراياه،
فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنة!
يجيء أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا،
فيقول له: ما صنعتَ شيئاً،
ثم يجيءُ أحدهم فيقول:

ما تركته حتى فرَّقتُ بينه وبين امرأته،
فيدنيه إبليسُ منه ويقول له: نعم أنت!
الشيطان يحبُّ أن تستعر الخلافات في البيوت،
لأن البيوت التي تُسلب الوفاق والرحمة،
هي بيئة خصبة لكل الآثام والشرور،
فأغلقي على الشيطان الباب!

يا صحابيَّة،
مهما حدث بينكِ وبين زوجكِ لا تتركي بيتكِ،
بيتكِ هو عرشُكِ والملكة لا تُغادر عرشها!
بيتكِ هو حصنُكِ فلا تكشفي نفسكِ،
أنتِ لديكِ بنات وهُنَّ ينظرنَ إليكِ،
فلا تزرعي في أذهانهنَّ أن مغادرة البيت هو الحل،
لا تفسدي صورة زوجكِ في أذهان أولادكِ،
لا تجعليه وحشاً بلحظة طيش وقلة صبر،
ولأجل شيءٍ يحدثُ في كل البيوت،
أوتحسبين أن البيوت التي لا صوت فيها ليس فيها مشاكل،
مخطئة أنتِ!
كل البيوت فيها مشاكل وخلافات،
ولكن الناس يعضّون على جراحهم لتستمر الحياة!

يا صحابيَّة،
جاء أبو بكر الصِّديق لزيارة ابنته عائشة،

فاستأذن على النبيِّ ﷺ،
فإذا عائشة ترفعُ صوتها على رسول الله ﷺ،
فقال لها: يا بنت فلانة ترفعين صوتكِ على النبي ﷺ!
وهمَّ بها ليضربها!
فحالَ النبيُّ ﷺ بينه وبينها،
ثم خرج أبو بكر فجعل النبيُّ ﷺ يقول لها:
ألمْ تريني حِلتُ بينكِ وبين الرجل؟!
ثم استأذن أبو بكر مرةً أخرى فسمعَ تضاحكهما،
فقال أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما!

يا صحابيَّة،
مهما بلغتِ من الإيمان فلن تدركي إيمان عائشة،
ومهما بلغ زوجكِ من الصلاح،
فأين هو من صلاح النبيِّ ﷺ
وها قد وقع بينهما خلاف زوجي!
ليست المشكلة الحقيقية أن يقع الخلاف،
وإنما المشكلة الحقيقية كيف نتصرف في هذا الخلاف؟!
وصحيح أن الرجل هو رب البيت ويتحمل مسؤولية كبيرة فيه،
ولكن هدوء البيت وسكينته هو وظيفة الزوجة لا الزوج،
ولا تتعجبي، أو تتهميني أني أتحزَّبُ للرجال،
أنتِ زوجتي، وابنتي، وأمي، وأختي، وعمتي، وخالتي،
أنتِ عرضي، وشرفي، وأنا في صفِّكِ ومعكِ،
لهذا أخبركِ بالحقيقة وأضعها نصب عينيكِ،

واقرئي قول ربك:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾

واقرئي قول ربكِ:

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾

السَّكن والطمأنينة والهدوء هو وظيفة الزوجة،

صحيح أن الزوج عامل مهم ومؤثر،

وقد يكون عاملاً مساعداً، أو عاملاً مُعسراً،

ولكن السَّكن وظيفتكِ قبل أن تكون وظيفته!

ومتى قمتِ بهذه الوظيفة على أكمل وجه،

كان كالخاتم في إصبعكِ!

دعوة أُم!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!

تؤنسكِ أحاديث الأولين وأخبار الأمم الغابرة،

فكيف إذا كانت أحاديثهم وأخبارهم بصوتِ نبيكِ حبيبكِ ﷺ

وأنتِ الآن على موعد مع هذا الجمال والجلال،

يقولُ لكِ النبيُّ ﷺ:

كان جُريجُ رجلاً عابداً، فاتخذ صومعةً، فكان فيها،

فأتته أمه وهو يصلي...

فقالتْ: يا جُريج!

فقال: يا رب، أمي وصلاتي!

فأقبلَ على صلاته، فانصرفتْ أمه،

فلما كان الغد أتته وهو يصلي،

فقالتْ: يا جُريج!

فقال: أي رب، أمي وصلاتي!

فأقبلَ على صلاته،

فقالتْ: اللهمَّ لا تُمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات!

فتذاكر بنو إسرائيل جُريجاً وعبادته،

وكانتْ امرأةٌ بغيٌّ يُتمثَّلُ بحسنها،

فقالتْ: إن شئتم لأفتننه!

فتعرَّضتْ له، فلم يلتفتْ إليها،

فأتتْ راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها،

فوقعَ عليها، فحملتْ!

فلما ولدتْ، قالتْ: هذا من جُريج!
فأتوه فاستنزلوه، وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه،
فقال: ما شأنكم؟
قالوا: زنيتَ بهذه البغيِّ، فولدتْ منكَ،
قال: أين الصَّبيُّ؟
فجاؤوا به...
فقال: دعوني حتى أُصلي! فصلَّى....،
فلما انصرفَ أتى الصَّبيَّ، فطعنَ بطنه،
وقال: يا غلام، من أبوك؟
قال: فلانٌ الرَّاعي!
فأقبلوا على جُريج يُقبلونه، ويتمسَّحون به!
وقالوا: نبني لكَ صومعتكَ من ذهبٍ!
قال: لا، أعيدوها من طينٍ كما كانتْ. ففعلوا!

يا صحابيَّة،
الجمالُ نعمة تُصان،
فلا تستخدمي جمالكِ وأنوثتكِ سلاح غواية!
فهذا فعل الغانيات لا فعل العفيفات،
الأنوثة والغنج يأخذان بقلوب الرجال،
فحافظي على نفسكِ أولاً، وعلى الناس ثانياً!
وقد قال الله لمن هُنَّ أطهر منكِ، زوجات النبيِّ ﷺ:
﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا

تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾
عندما تُظهرين أنوثتكِ في غير موضعها،
وتكشفين دلالك أمام من ليس له،
فستكونين محطَّ طمع، ويُظنُّ بكِ أنكِ سهلة المنال!
اثبتي أمام البائع في السوق،
عرضكِ أغلى من دراهم يحسمها لكِ!
حافظي على رباطة جأشكِ أمام زملاء العمل،
سمعتُكِ لا تُقدَّر بثمن!
لا تفتحي الباب، أو شق منه،
ثم تشتكين إذا ما تسلل منه أحد!
معالجة الأسباب أهون عليكِ من معالجة النتائج!
لتذهب الوظائف إلى الجحيم،
إذا كان ثمنها شيءٌ يمسُّ شرفكِ!
ما كان لكِ من رزقٍ سيأتيكِ رغماً عن الدنيا كلها،
والرزق عند الله لا عند الناس،
وما كان عند اللهِ لا يُؤخذُ بمعصيته!

يا صحابيَّة،
إياكِ والدعاءُ على أولادكِ،
فربما صادفتْ دعوتكِ ساعة استجابة فتهلكينهم،
دعاء الوالدين فتَّاك!

كل ما أصاب جُريج الراهب كان بدعوة أمه،
دعتْ عليه أن ينظر في وجوه المومسات،
فوافقتْ دعوتها ساعة استجابة فأصابه ما قد علمتِ!
رأى عمر بن الخطاب شيخاً كبيراً في السن يده مشلولة،
فسأله: ما الذي أصابك؟
فقال: دعا عليَّ أبي في الجاهلية أن تُشَلَّ، فَشُلَّتْ!
فقال عمر: هذا دعاء الآباء في الجاهلية، فكيف في الإسلام؟!
وفي كتاب أزهار الرياض من أخبار القاضي عياض،
أن الزمخشري كان مقطوع الرِّجل،
فسُئلَ عن ذلك، فقال: هذا بدعاء أُمي!
ذلكَ أني كنتُ في صباي أمسكتُ عصفوراً،
وربطه بخيطٍ في رجله، فجذبته، فانقطعتْ رجله!
فتألمتْ أمي لذلك وقالتْ: قطعَ اللهُ رجلكَ كما قطعتَ رجله!
فلما كبرتُ وكنتُ في سفرٍ إلى بخارى لطلب العلم،
سقطتُ عن الدابة، فانكسرتْ رجلي، ووجبَ قطعها!
أمسكي عليكِ لسانكِ يرحمكِ اللّه،
الأولاد مُتعبون هذه حقيقة،
ولكن لكِ من كل هذا التعب أجر التربية!
والأولاد يأتون بتصرفاتٍ مستفزة هذا واقع،
ولكن الصبر باب من أبواب الجنة!
ثم إن الدعوة السيئة على الأولاد لو اُستجيبت،
فأنتِ أول من سيكتوي بنارها!
لو دعوتِ على ولدٍ أو بنتٍ بعدم التوفيق،

فسيأتي هذا الولد وهذه البنت عاقين،
ستحرمين نفسكِ من برِّهم في لحظة غضب،
عدم التوفيق شقاء!
وأي راحةٍ لكِ إذا شقيَ أولادكِ،
عودي نفسكِ الدعاء لهم لا عليهم،
استبدلي تلك الدعوات الساحقة الماحقة بأُخرى حلوة جميلة!
قولي للولد: هداكَ الله!
وقولي للبنت: أصلحكِ الله!
وأنتِ أول من سيقطف ثمار هدايتهم وصلاحهم!

يا صحابيَّة،
الصلاة مفزَعُ الصالحين منذ فجر التاريخ،
وعندما نزلتْ بجريج هذه التهمة،
قال: دعوني حتى أُصلي!
فأنجاه الله سبحانه، وبرَّأه من تُهمةٍ نُسبتْ إليه،
ليكن اللهُ ملاذكِ الآمن، وحصنكِ المنيع،
إذا ضاقتْ بكِ الحيلة تصدَّقي،
وإذا سُدَّتْ بوجهكِ الأبواب سارعي في الدعاء،
وإذا تعسَّرتْ الأمور فادخلي كهف الصلاة،
ما أنجى يونس عليه السلام من بطن الحوت إلا تسبيحه واستغفاره،
وما نجا موسى عليه السلام من فرعون وجيشه،
إلا بحسن ظنه بالله!

وما نجا نوحٌ عليه السّلام بالسفينة المصنوعة من الخشب،
إلا لأنه قد ركبَ من قبل سفينة التوحيد!
وما نجا النبيُّ ﷺ وصاحبه يوم الهجرة،
إلا بالتوكل على اللّه واليقين باللّه!
يا أبا بكر: ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما!

يا صحابيَّة،
أهل المعاصي مرضى قلوب، فاحذريهم!
وإنهم يريدون لو كان الناس جميعاً مثلهم،
تلك الزانية أزعجها عفاف جُريج،
فأرادت أن يكون مثلها!
أنتِ بصلاحكِ وعفافكِ تذكرين الناقصين بنقصهم،
المرتشي يؤلمه الأمين لأنه بأمانته يخبره كم هو وضيع!
والزانية تؤلمها العفيفة لأنها بعفتها تخبرها كم هي رخيصة!
ومن قبل قال قوم لوطٍ: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾
إن النجس والملوث يختنق بطهارة غيره!

يا صحابيَّة،
لا تُعيري سمعكِ للذين يقعون في أعراض الناس،
اُتهم جريج بالزنا وهو عفيف طاهر،
وصدَّقَ قومه التهمة رغم أنها جاءتْ من زانية استأجروها!
كم عفيفةٍ ظُلمت،

وكم أمينٍ اُتهم بالخيانة،

وكم مُتهم هو من تهمته بريء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام،

فإذا حُملتْ إلى مسامعكِ تُهمة،

فاجعليها تقفُ عندكِ ولا تنشريها!

فإن كانتْ التهمة حقاً فقد كنتِ رسول إبليس في نشر الفاحشة،

وإن كانتْ كاذبة فقد وقعتِ في أعراض الناس،

من سترَ سُتِر، والمرءُ لا يأخذُ إلا ما كان يُعطيه!

ومن تتبعَ عورات الناس، تتبعَ اللّه عورته!

اُتهمت الصِّديقة مريم بالزنا،

واُتهم الكليم موسى عليه السلام بأنه يريد أن يُظهر في الأرض الفساد!

واُتهم النبيُّ ﷺ بالكذب والسحر والجنون،

فإذا كان هؤلاء لم ينجوا من الناس،

فكيف يسلمُ الذين هم من دونهم وكلنا دونهم!

زيارة!

أنتِ أيضاً صحابيَّة،
تُحبين الصالحين في كل عَصْرٍ ومِصْرٍ،
تُحبين أولئك الذين سبقوكِ إلى قافلة التوحيد من الأمم السابقة،
وتُحبين أولئك الذين سيكونون على التوحيد ولم يولدوا بعد!
ربَّاكِ حبيبُكِ ونبيُّكِ ﷺ أنَّ الإسلام
دعوة ضاربة الجذور في تربة التاريخ!
وأن انتسابكِ لهذا الدين لم يبدأ بولادتكِ على الفطرة،
وإنما مع أول صراعٍ بين الحقِّ والباطل،
حين رفضَ إبليسُ اللعين السجود لأبيكِ آدم عليه السلام!
ولن ينتهي هذا الانتساب بموتكِ،
أنتِ ابنة عقيدة يسقطُ التكليف بها حين ينفخُ إسرافيل في الصور،
ولأنكِ سمعتِ النبيَّ ﷺ مرةً يقول:
وددتُ أني قد رأيتُ إخواننا
فقالوا له: يا رسول الله، ألسنا بإخوانك؟
فقال ﷺ: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد،
وأنا فرطهم على الحوض!
فقالوا: يا رسول الله، كيف تعرفُ من يأتي بعدك من أمتك؟
قال ﷺ: أرأيتم لو كان لرجلٍ خيلاً غُراً محجلة،
في خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، ألا يعرفُ خيله؟

قالوا: بلى يا رسول اللّه!

فقال ﷺ: فإنهم يأتون يوم القيامة غُراً محجلين من الوضوء!

يا صحابيَّة،

ها نفسكِ تتوق لخبر قومٍ صالحين ما كانوا في عهد النبوة،

وها أنتِ اليوم مع الخبر ًفاستحضري قلبكِ!

كان الإمامُ أحمد بن حنبل تلميذاً للإمام الشافعي،

وكان أحمد يُكثرُ من ذِكر الشافعي أمام أهله ويُثني عليه،

وزار الشَّافعي يوماً تلميذه أحمد في بيته،

تناول الضيفُ الطعام، ومضى إلى فراشه،

ثم لما مضى الليل صلى بأهل البيت الفجرَ وعاد إلى فراشه،

وفي الصباح قالتْ ابنة الإمام أحمد لأبيها:

يا أبتاه، أهذا الشَّافعي الذي كنتَ تُحدثني عنه؟

فقال: نعم يا ابنتي!

فقالتْ: سمعتُكَ تُعظِّمه، وما رأيتُ له هذه الليلة صلاةً

ولا ذِكراً، ولا وِرْداً!

وقد لاحظتُ عليه أموراً ثلاثة!

فقال: وما هي يا بُنيَّة؟

فقالتْ: عندما قدَّمنا له الطعام أكل كثيراً على غير ما سمعته عنه،

ولم يقُمْ ليصلي من الليل شيئاً!

وعندما صلَّى بنا الفجر لم يتوضأ!

فأخبرَ الإمامُ أحمدُ الإمامَ الشَّافعيَّ بما قالته ابنته!

فقال له الشَّافعيُّ: يا أحمد لقد أكلتُ كثيراً لأني أعلم أن طعامكَ حلال،
والطعام الحلال دواء، وبي مرض!
فأكثرتُ من طعامكَ لا لأشبعَ، وإنما لأتداوى!
وأما أنني لم أقُمْ لصلاة الليل،
فلأني عندما وضعتُ رأسي لأنام،
نظرتُ فكأنَّ أمامي الكتاب والسُّنة،
ففتحَ اللّٰه عليَّ باثنتين وسبعين مسألةً من علوم الفقه!
رتبتها في مصالح المسلمين، وحال التفكير فيها بيني وبين القيام!
وأما أنني صليتُ بكم الفجر بغير وضوء،
فواللّٰهِ ما نامتْ عيني حتى أُجدد الوضوء،
فصليتُ بكم الفجر في وضوء العشاء!
ثم ودَّعه ومضى...
فقال الإمام أحمد لابنته: هذا الذي عمله الشافعي وهو مُستلقٍ،
أفضلُ مما عملته وأنا قائم!

يا صحابيَّة،
خُلقتِ للمعالي، فدعي عنكِ توافه الأمور!
علمتكِ ابنة الإمام أحمد درساً بليغاً في الحياة!
النظر إلى الجوهر لا إلى المظهر،
لم تتحدث عن عمامة الإمام الشافعي،
وما إذا كانت مناسبة للون ثيابه،
لم يلفتها لحيته ولا خاتمه،

كانت ترقبُ دينه وعبادته فقط!
فدعي عنكِ تفاهة المشاهير في مواقع التواصل،
ماذا يُفيدكِ متابعة كل ما تلبسه هذه «الفاشينستا»
أو كل ما فعله هذا المطرب في يومه،
ما خُلقتِ لتعيشي في حياة الآخرين وإنما في حياتكِ!
في مواقع التواصل علم غزير، ومنافع كثيرة،
دروس في الفقه، والحديث، وعلم التفسير،
أفلام وثائقية نافعة ومفيدة!
محاضرات في شتى العلوم تجلبُ لكِ المعرفة إلى حِجركِ،
أعمال خير وإغاثة غيَّرتْ حياة الكثيرين نحو الأفضل،
فتعاملي مع الحياة بعقلية النحل لا عقلية الذباب،
إن النحل لا يقعُ إلا على الورد،
والذباب لا يقعُ إلا على القذارة !
ابحثي عما يُرققُ قلبكِ فإنما المرءُ بقلبه،
وعما يُنيرُ عقلكِ، فعقلكِ سلاحكِ!

يا صحابيَّة،
لستُ أقولُ لكِ كوني جاهلة بالموضة،
ولا دعي عنكِ الأناقة والتجمل!
وإنما أقول لكِ: المعرفة شيء والهوس شيءٌ آخر،
ولستُ أقولُ لكِ عيشي في عالم غير العالم،
وإنما أقول أن الماديات تفسدُ الروح،
ومتابعة تفاصيل حياة البعض قد تفسِدُ حياتكِ!

لأنها ستجعلكِ غير راضية عما قسمه اللّهُ لكِ،
هؤلاء ليس لهم حديث إلا عما اشتروا أو باعوا،
أو عما أكلوا وإلى أين سافروا!
حياتهم أفلام تُعرض على أنها الحياة المثالية!
فتزدرين حياتكِ دون أن تشعري،
ستشعرين بالنقص لأنه ليس لديكِ شنطة فلانة ومجوهراتها،
وبالضيق لأنه ليس لديكِ أسفار فلان وترحالاته،
نحن حين ننظر إلى ما في أيدي الآخرين نستقل ما في أيدينا!
وتنمو في داخلنا بذرة عقدة النقص!
ثم من قال لكِ أن هؤلاء حياتهم مثالية؟
هؤلاء لا يجعلونكِ ترين من حياتهم إلا ما يريدون!
أكثر نسب الطلاق تجدينها عندهم،
وأكثر المشاكل على المال تجدينها بينهم،
وحين كانت فلانة تستعرض حياةً براقة،
كان عندها بيتٌ مهمل، وأسرة تضيع!
وحين كان فلان يعلمكِ كيف تأكلين، وماذا تشترين،
كان له بيت يضج بالإهمال!
أسوأ ما في حياة المظاهر هذه أنها تقتل فينا الإنسان!
وتنسينا تلك المهمة العظيمة التي خُلقنا لأجلها،
وذلك الامتحان الصعب الذي علينا اجتيازه!

اللهمَّ لا تجعلني مثله!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
لم ترتوي بعدُ من قصص الأولين،
بكِ عطشٌ إلى أخبارهم يزيدُ مع كل حكاية،
ومن غيرُ المؤيد بالوحي يروي لكِ ما حدث فعلاً؟!
وها أنتِ اليوم مع خبرٍ جديد، وحكايةٍ ماتعةٍ،
وها هو نبيُّكِ وحبيبكِ ﷺ يصحبكِ،
إلى الزمن الغابر على متنٍ قصة!
يقولُ لكِ بصوته العذب:
كانت امرأةٌ تُرضعُ ابناً لها من بني إسرائيل،
فمرَّ بها راكبٌ ذو شارةٍ،
فقالتْ: اللهم اجعلْ ابني مثله!
فتركَ ثديها وأقبلَ على الراكب وقال: اللهمَّ لا تجعلني مثله!
ثم أقبل على ثديها يمصه،
وجعلَ النبيُّ ﷺ يمصُّ اصبعه ليجعلكِ تعيشين القصة،
وكأنها ترينها أمامكِ الآن!
ثم مُرَّ بأمةٍ تُضربُ،
فقالتْ: اللهم لا تجعل ابني مثلها!
فتركَ ثديها وقال، اللهمَّ اجعلني مثلها!
فقالتْ: ولِمَ ذاكَ؟
فقال: الراكبُ جبارٌ من الجبابرة،
وهذه الأمة يقولون سرقتِ، زنيتِ، ولم تفعل!

يا صحابيَّة،
القصص التي جاء بها الوحيُّ قرآناً أو سُنَّةً،
ليست للمتعة والتسلية وإن كانت ماتعة مسلية،
وإنما هي لتصديق بوقوعها أولاً،
وللعظة، والاعتبار، والعمل بها ثانياً!
فإبراهيم عليه السلام أُلقيَ في النار ولم يحترق حقاً!
وموسى عليه السلام شقَّ البحر بعصاه واقعاً!
ويونس عليه السلام مكث في بطن الحوت يقيناً!
وسليمان عليه السلام حكمَ الجن والإنس والطير فعلاً!
ونوح عليه السلام ركبَ السفينة في موجٍ كالجبال صدقاً!
والسكين لم تذبح إسماعيل عليه السلام أبداً!
والقصص النبوي كالقصص القرآني وحي لا مراء فيه،
فهو ليس مبالغات أبي زيد الهلالي،
ولا مهاترات جلجامش وبحثه عن نبتة الخلود،
ولا تخاريف الإلياذة الإغريقية، أو الشاهنامة الفارسية،
وعندما يُحدُّثكِ نبيُّكِ ﷺ بغرائب الأحاديث،
فكوني على يقين أنَّ هذا وقع فعلاً، والإيمان به واجب!
وإن الطفل الرَّضيع في هذه القصة قد تكلم حقاً في المهد!
تماماً كما تكلم عيسى عليه السلام يوم جاءت به أمه تحمله!
نحن أمة الإيمان بالغيب قبل الصلاة والصيام!
نؤمن بالجنة، والنار،
والصراط، والملائكة، والجن،
ومعجزات الأنبياء

وكل هذا غيب لم نشهده،
وإن لم نؤمن به فلا يصح بعد ذلك لا صلاة ولا صيام!

يا صحابيَّة،
لا تنخدعي بالمظاهر، فهي واللّهِ خدَّاعة!
ولا تحكمي على الأشياء بظواهرها فقط فهذا من سوء الفطن!
إنكِ لو سرتِ في طرقات المدينة أيام أبي بكرٍ،
ورأيته بثيابه المتواضعة والأطفال يركضون خلفه ينادونه: يا أبتِ!
لقلتِ يا له من رجل بسيط،
هذا وهو خير الناس بعد الأنبياء!
صاحب رسول اللّه ﷺ، ورفيقه في الغار،
مؤدب المرتدين، والمدافع عن لا إله إلا اللّه!
ولو أنكِ مشيتِ في طرقات المدينة أيام خلافة عمر بن الخطاب،
ورأيته يسير بثوبه المرقَّع،
لقلتِ: مسكين لا يجدُ ثوباً أنيقاً،
هذا وهو الذي يهربُ الشيطان منه،
فاروق هذه الأمة، وهازم الإمبراطوريات العظمى،
الرجل الذي أرسى العدل، وأقام الشَّرع!
ولو أنكِ رأيتِ عبد اللّه بن مسعودٍ يصعدُ شجرةً،
لضحكتِ من دقة ساقيه ونحولها كما ضحك الصحابة،
ولكن النبيَّ ﷺ أخبرهم،
أنَّ هاتين الساقين أثقلُ في الميزان من جبل أُحد!
ولو أنكِ دخلتِ المسجد النبوي،

ورأيتِ حذيفة بن اليمان، وأبا هريرة في أهل الصُّفة،
والصُّفة مكان في المسجد للمساكين الذين لا يجدون طعاماً!
لقلتِ: يا للمساكين!
هذا وحذيفة بن اليمان صاحب سر رسول اللّه ﷺ!
وأبو هريرة أكثر الصحابة روايةً للحديث!

يا صحابيَّة،
ليس كل مشهورٍ يُغبطُ على ما هو فيه،
البعض على شهرتهم وثرائهم يستحقون الشفقة!
كان أبو جهل يصول ويجول، ويزبد ويرعدُ،
وقد نال بخزي وسام فرعون هذه الأمة!
ولا كل مجهول يُزدرى على ما هو فيه!
البعض على عدم شهرتهم ليتنا كنا مثلهم،
كان البراء بن مالك أشعث أغبر، ذي طمرين،
مدفوع بالأبواب، لا يأبه به أحد،
ولكنه لو أقسم على اللّه لأبرَّه!
الشهرة فتنة إلا ما كان منها للّهِ،
والمال فتنة إلا ما كان منه في سبيل اللّه،
والعلم فتنة إلا ما كان هدايةً في ذات اللّه،
فلا تمدي عينيكِ إلى ما أُعطي غيركِ من الدنيا!
وهو نهاية المطاف متاع زائل، وعذاب مؤجل،
الفارس في هذه القصة كان في الظاهر مُهاباً!
ولكنه في الحقيقة كان ظالماً جباراً،

والأمة كانت في الظاهر متهمة مسكينة،
وهي في الحقيقة بريئة وحبيبة إلى اللّٰه،
فكوني ابنة الآخرة!

يا صحابيَّة،
نحن ندعو اللّٰه بأشياء فلا يعطينا إياها،
هذا لأنه يعلمُ ونحن لا نعلم!
حين يمنعنا اللّٰه عطاءً فهذا لرحمته بنا،
كلنا تمنينا أشياء بشدة، وظننا أن حياتنا ستكون جحيماً بدونها،
ثم دعونا، وسألنا اللّٰه، فلم يستجب!
ثم مضت الأيام فاكتشفنا أن الجحيم كان لو أخذناها!
نحن البشر نظرنا محدود، وتفكيرنا قاصر،
ولا نرى من المشهد إلا جزءاً ضئيلاً نحسبه المشهد كله!
وإنكِ لو كنتِ من ركاب السفينة التي ثقبها الخضر،
لربما قلتِ: ألا يكفي أننا مساكين حتى نُصاب بتلف مصدر رزقنا؟
ثم تتكشف حجب الغيب ويتبين لكِ،
أنه لولا هذا الثقب لضاعت السفينة كلها!
ولو أنكِ كنتِ والدة الطفل الذي قتله الخضر،
لربما قلتِ: ما ذنبُ طفلٍ صغير أن يُقتل يا رب؟
ثم تتكشف الحُجب، وتتجلي الحقيقة، ويتبين لكِ،
أنه لو لم يمت لسلبَ منكِ دينكِ!
فسبحان من يُكدر علينا دنيانا أحياناً،
ليحفظ علينا ديننا الذي لو تكدر لن تنفعنا بعد ذلك الدنيا كلها!

يا صحابيَّة،

اُنظري إلى منع الله على أنه عطاء يستريحُ قلبكِ،

إنَّ الله تعالى يحمينا بطرقٍ لا نفهمها،

كان أحد الصالحين يقول:

إذا دعوتُ الله بمسألة فحرمتها،

كان فرحي بالحرمان أكثر من فرحي بالعطاء،

لأن العطاء اختياري لنفسي،

والحرمان اختيار الله لي!

فارفعي أكفكِ بالدعاء وسلي ربكِ ما شئتِ!

فإنه يُحِبُّ أن يسمعَ عبده يدعوه،

وفي الأثر أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام:

يا موسى، سلني علفَ دابتكَ، وشراكَ نعلكَ، وملحَ عجينتكَ!

فإن أخذتِ جواب دعائكِ، فاحمدي الله مرَّةً،

وإن مُنعتِ فاحمدي الله مرتين!

لأن الخير كل الخير كان أن تُمنعي!

وقد كان عمر بن الخطاب يقول:

لو كُشفت حُجب الغيب ما اختار إنسان قدراً،

غير الذي اختاره الله له!

فأحسني الظن بالله!

صَدَقة!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
تُحبين أن تسمعي أخبار النبيِّ ﷺ ومواقفه،
وتُعجبكِ تلك المواقف التي كانت تدور بينه وبين زوجاته
ذلكَ أن البيوت تتشابه، والناسُ هم الناس
فتريدين أن تكون حياتكِ اقتداءً وامتثالاً بهدي نبيِّكِ وحبيبكِ ﷺ
وها أنتِ مع موقف حياتيّ في بيت النبوة،
تُخبركِ عنه أمكِ عائشة بنت الصديق رضي اللّه عنها،
ذبحَ النبيُّ ﷺ شاةً وأمر عائشة أن تتصدقَ منها،
وخرج من بيته يرى أحوال المسلمين، ويُبلِّغهم رسالة ربه
ولما عادَ قال لعائشة: ما بقيَ من الشاة؟
فقالتْ له: ما بقيَ منها إلا كتفها!
فقال لها: بقيتْ كلها إلا كتفها!

يا صحابيَّة،
تأملي هذا الجواب العظيم: بقيتْ كلها إلا كتفها!
تخبره عائشة أنَّ الشاة قد ذهبتْ في الصدقات،
فإذا به ﷺ يخبرها أنَّ الصدقة تبقى،
وأنَّ مال الإنسان كله يذهب إلا ما جعله يسبقه إلى القبر!
المال الذي معكِ ليس لكِ،
إنه للبقالة، ومحطة البنزين، وفاتورة الكهرباء، وثمن الدواء
إنه لبائع الثياب، والفرن، والسوق، ومحلات الأدوات المنزلية

وما لم يُسعفكِ عمركِ لإنفاقه فهو للورثة من بعدكِ!
مالُكِ الحقيقي هو الصدقات التي تدخرينها عند الله!
كتف الشاة الذي بقي عند عائشة سيؤكل ويفنى،
أما ما جعلته من الشاة على هيئة صدقات فيبقى،
إنه يُحفظ لكِ في بنكِ الآخرة!
في دفتر توفير يقولُ عنه النبي ﷺ:
من تصدَّق بعدل تمرةٍ من كسب طيب،
ولا يقبل الله إلا الطيب،
فإنَّ الله يقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها،
كما يربي أحدكم فلوَّه/ حصانه الصغير حتى تكون مثل الجبل!

يا صحابيَّة،
كانت زينب زوجة عبد الله بن مسعود صاحبة مالٍ وهو فقير،
فسمعتْ النبيَّ ﷺ مرَّةً يقول:
يا معشر النساء تصدَّقنَ ولو من حُليِّكن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار،
فجاءت إلى زوجها عبد الله بن مسعودٍ وقالتْ له:
يا عبد الله، إنكَ رجل خفيف ذات اليد،
وإنَّ النبيَّ ﷺ قد أمرنا بالصَّدقة، فائته واسأله،
فإذا كان ذلكَ يجزئُ عني أن أعطيكَ،
وإلا صرفتها إلى غيركَ،
فقال لها ابن مسعودٍ: بل ائته أنتِ!
فانطلقتْ تريدُ النبيَّ ﷺ فإذا بالباب امرأة من الأنصار،

قد جاءتْ تسألُ نفس السؤال التي جاءتْ لأجله زينب،
فطرقتا الباب، فخرج إليهما بلال بن رباح،
فقالتا له: سل النبيَّ ﷺ عن امرأتين تسألاه
هل تُجزئُ الصَّدقة على أزواجها، وعلى أيتامٍ في حجورها
فدخلَ بلال على النبيِّ ﷺ وقال له:
امرأة من الأنصار وزينب تسألانك هل تجزئ الصدقة على أزواجهما
فقال له النبي ﷺ: أي الزيانب؟
فقال: امرأة عبد اللّٰه بن مسعود
فقال له النبي ﷺ: لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصَّدقة!
فاحفظي أنتِ درس النبيِّ ﷺ:
أعظمُ الصَّدقة ما كانت في القرابة!
فإن كنتِ صاحبة مال، وقد جعل اللّٰهُ مالكِ كله لكِ،
ولكِ زوجٌ فقيرٍ فكل ما تعطينه إياه صدقة!
بل ولكِ في ذلك أجران:
أجر الصدقة، وأجر هذا التحبب إليه بإعطائه بعض مالكِ،
وإن كنتِ أرملة، أو مطلقة، ولكِ أولاد عندكِ،
فكل ما تنفقينه عليهم هو صدقة تُكتب لكِ!
فابحثي دوماً في صدقاتكِ عن الأقرباء أولاً،
عن أختٍ حالها ضيقة، وزوجها فقير،
وعن أخٍ عنده أولاد وراتبه بالكاد يكفيه،
عن عمٍ، وخال، وعمة، وخالةٍ لم يعطهم اللّٰه تعالى ما أعطاكِ،

فإنَّ هذا يجعلكِ تبلغين في قلوبهم مقاماً عظيماً،
وعند اللّه تعالى مقاماً أعظم منه!

يا صحابيَّة،
قال النبيُّ ﷺ يوماً لزوجاته:
أسرعكنَّ لحاقاً بي أطولكنَّ يداً
وهو يعني بذلك أكثرهن صدقةً،
فكانت أمكِ زينب بنت جحشٍ أولهنَّ لحاقاً به!
فقد كان لها مهنة، تعمل في دبغ الجلود والخياطة،
وكانت تكثر من الصدقة على الفقراء والمساكين،
فاستحقَّتْ عن جدارةٍ وساماً نبوياً،
كأكثر أمهات المؤمنين صدقاتٍ وكرماً!
فسَابقي أنتِ في هذا المضمار،
فإن كان لكِ وظيفة ودخل فاجعلي لكِ صدقةً دائمة وإن قلَّت،
علبة دواء لفقير يحتاج هذا الدواء كل شهر،
كفالة لأيتام عند أم فقيرة تقوم عليهم،
مبلغ صغير لعائلة متعففة مستورة،
ما أجمل أن تكوني أنتِ الأطول يداً في العائلة!
وإن لم تكوني عاملة وليس لكِ دخل،
فمن مصروف البيت ولو درهماً في الشهر أو ديناراً ،
أو صحن طعام لجيرانكِ الفقراء،
أو حتى الملابس التي لا تحتاجينها، أعطها لمن يحتاجها
الصدقة إحدى أوسع الأبواب وصولاً إلى اللّه!

يا صحابيَّة،
كانت زينبَ بنتُ خزيمة تُسمى أم المساكين
لكثرة صدقتها عليهم!
فأعجبَ ذلكَ النبيُّ ﷺ فتزوجها،
فلم تلبث معه إلا قليلاً حتى ماتتْ!
لتخرج من هذه الحياة بانتصارين عظيمين:
لقب أم المساكين، ولقب أم المؤمنين!
انظري إلى أجر الصدقة في الدنيا قبل الآخرة،
لما جاءتْ بما لديها تجبر خواطر المساكين،
جبر اللّه تعالى خاطرها بنبيه وحبيبه ﷺ
فإن كان لكِ أمنية فاطرقي بابها بيد الصدقة،
وظيفة تريدينها، أو منحة جامعية، أو نجاح وتوفيق،
رجل ألقاه اللّه في قلبكِ فتعففتِ وصبرتِ ولكنه في قلبكِ،
فتصدقي، وادعي اللّه تعالى،
وكوني على يقين أنه لو كان فيه خير لكِ،
فسيأتيكِ اللّه بكِ إلى بابكِ مجروراً من قلبه،
فإنَّ من أكثر الأوقات إجابةً للدعاء،
هي تلك الأوقات التي يدعو فيها الإنسان ربه بعد معروف يصنعه!
جاء موسى عليه السلام إلى مدين خائفاً يترقب؛
لا بيت، لا زوجة، ولا وظيفة
رجل غريب ووحيد في قرية لا يعرف فيها أحداً،
فرأى على الماء رجالاً يسقون أغنامهم،
وعند الماء أيضاً امرأتين تنتظران أن يحين دورهما

فلما ذهبَ الرجال قام موسى عليه السلام ليساعدهما،
فسقى لهما ثم تولى إلى الظل يستريح
ودعا ربه قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾
فلم ينقضِ ذلك اليوم إلا وكان عنده بيت وزوجة ووظيفة!
فإذا أردتِ من اللّه ما تُحبين،
فقدمي له ما يُحِبُّ أولاً،
ولا شيء أحب إلى اللّه من الصدقة!
لأنها فيها جبر خواطر عباده،
وسد حاجاتهم، وترميم كراماتهم،
فكوني للّهِ يكُنْ اللّه لكِ!

لا تعجلي!

أنتِ أيضاً صحابيّة!
تريدين أن تعرفي أدقَّ تفاصيل دينكِ،
لأنكِ تعرفين أنَّ اللّه سبحانه لا يُعبد من جهلٍ،
وأن المرءَ كلما استقام له الفهم بانت له الحكمة!
وها أنتِ اليوم رفقة نبيكِ وحبيبكِ ﷺ،
وها أنتِ تسمعينه يقول:
يُستجاب لأحدكم ما لم يَعجل، يقول: دعوتُ فلم يُستجب لي!

يا صحابيَّة،
إن اللّه تعالى يُحِبُّ العبدَ اللحوح،
تقولُ أمكِ عائشة رضي اللّه عنها:
ذات يومٍ دعا النبيُّ ﷺ، ثم دعا، ثم دعا!
ويوم بدرٍ حين رأى جموع المشركين قد أقبلتْ
استقبلَ القِبلة، ثم رفع يديه يقول ﷺ:
اللهم أنْجِزْ لي ما وعدتني،
اللهم إنك إن تُهلِكْ هذه العصابة من أهل الإسلام،
لا تُعبدُ في الأرض أبداً!
وما زال يدعو، ويدعو، حتى سقط رداؤه ﷺ من على منكبيه
فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه ووضعه على منكبيه
ثم قال له: يا نبيَّ اللّه كفاكَ مناشدتكَ ربّكَ!
فإنه سينجز لكَ ما وعدكَ!

يا صحابيَّة،

إن كان لكِ عند اللّه حاجة فألحّي بها،

ولا تستأخري الإجابة فتتوقفي عن الدعاء!

لعلَّ اللّه تعالى يُحِبُّ أن يسمعَ صوتكِ!

كرري دعوتكِ، ولا تملي منها أبداً،

وتحرّي في دعائكِ أوقات الإجابة،

فهي أرجى من غيرها لإجابة الدعاء!

فإذا فرغ المؤذن من الأذان،

صلي على نبيكِ وسلي له الوسيلة ،

ثم ارفعي إلى الجبار حاجتكِ!

وإذا هطل المطر فقولي: اللهم صيباً نافعاً،

ثم ارفعي إلى المليكِ حاجتكِ!

وإذا نظرتِ إلى الكعبة

فقولي: اللهم زِدْ هذا البيت تعظيماً وتشريفاً،

ثم ارفعي إلى المعطي حاجتكِ!

وإذا كنتِ في السجود فلا تعجلي رفع رأسكِ،

سلي الحاجة في السجود فإنكِ فيه أقرب ما تكونين إلى ربكِ!

واقصدي مسكيناً في بيته، وضعي في يده صدقة!

ومريضاً لا يجد ثمن دوائه واشتريه له!

وأرملة ذات أولاد ومعكِ بعض الطعام والثياب!

وفاقدة أب أو أخ أو حبيب فزوريها وعزيها!

وهناك ارفعي حاجتكِ فإن اللّه عند المنكسرة قلوبهم!

يا صحابيَّة،
أحياناً تتأخر الإجابة بذنبٍ أنتِ عليه،
وإن الجبار ينتظرُ توبتكِ ليعطيكِ!
خرجَ موسى عليه السلام ببني إسرائيل لصلاة الاستسقاء،
وقد أجدبت الأرض، وكاد الناس أن يهلكوا،
ولكن المطر رغم الصلاة لم يهطل،
وأوحى اللّه تعالى إلى موسى عليه السلام أن فيهم عبداً عاصياً،
فأخبرهم بذلك، وطلبَ منهم أن يخرج هذا العاصي من بينهم،
وما هي إلا لحظات حتى انهمر المطر!
فسألَ موسى عليه السلام ربَّه عن سبب نزول المطر،
رغم أن هذا العاصي لم يخرج من بينهم،
فأخبره اللّه تعالى بأن العاصي قد تاب بينه وبين ربه،
فسأل موسى عليه السلام عنه، فقال له اللّه تعالى:
يا موسى، سترته عاصياً فكيف أفضحه تائباً!
أمة كاملة حُرمتْ المطر بسبب عاصٍ لم يتب!
فمن باب أولى أن يُحرم المرء إجابة دعوته بسبب معصيته هو!
فإن كانت لكِ دعوة تأخرتْ فراجعي نفسكِ!
انظري في ذنبٍ يحتاجُ إقلاعاً،
فلعله هو الذي يحول بين دعائكِ وإجابته،
فإنَّ اللّه تعالى ما أمر بالمسألة إلا لأنه يريدُ أن يعطي،
وإنَّ المنع في كثير من الأحيان كامن فينا نحن
فراجعي نفسكِ!

يا صحابيَّة،

قال رجل لعيسى عليه السلام: أوصني!

فقال له: اُنظُرْ إلى رغيفك من أين هو!

بمعنى: ابحثْ عن الحلال!

إن المال الحرام يحول بين الدعاء والإجابة،

وفي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ:

إنَّ اللّه أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين،

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾

ثم ذكرَ الرجل يطيل السفر، أشعثَ أغبر

يمدُّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب!

ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذيَ بالحرام،

فأنّى يُستجاب له؟!

فإذا تأخرت الإجابة عنكِ فانظري في مصدر دخلكِ،

لعلَّ لكِ تجارة داخلها شيء من حرام،

فأصلحي هذا أولاً، ثم أبشري بالإجابة!

يا صحابيَّة،

كان أحد التابعين يسألُ اللّه أن يُيسر له الجهاد،

فلم ييسره اللّه تعالى له،

فلما استغربَ عدم الإجابة، رأى في المنام من يقول له:

إنكَ إن غزوتَ أُسِرّتَ، وإن أُسِرّتَ تنصَّرتَ!

إن اللّٰه تعالى يحرمنا أحياناً لأنه يحبنا!
ويمنع عنا الشيء الذي نطلبه لأنه فيه ضرر لنا،
وكان الأوائل يفرحون بإجابة الدعاء مرَّة،
ويفرحون بعدم إجابته مرتين!
لأن الإجابة هي اختيار المرء لنفسه،
أما المنع فهو اختيار اللّٰه لعبده،
وخيرة اللّٰه لنا خير من خيرتنا لأنفسنا!
لعلَّ الحبيب الذي سألتِ اللّٰه إياه طويلاً فمنعكِ،
الحياة ستكون معه جحيماً لا يُطاق وقد يفتنكِ في دينكِ!
أنتِ لا ترين من الكتاب إلا غلافه،
ولعلَّ الوظيفة التي كنتِ تريدينها وحُرمتِ منها،
كانت النجاة كل النجاة أن لا تكوني فيها!
إنَّ اللّٰه تعالى يُقلِّب الأمور بطريقة مدهشة،
لا يستطيع فكرنا البشري القاصر أن يدركها،
فأحسني الظن باللّٰهِ،
واعلمي أن اختياراته لكِ هي عين نجاتكِ!
وأن منعه إياكِ هي عين عطائكِ!

يا صحابيَّة،
قد تتأخر الإجابة لأن الوقت لم يحن بعد،
بعض الأشياء إذا أخذناها باكراً أتلفناها أو أتلفتنا!
على بعض الوقت أن يمضي أولاً،
على بعض الأسباب أن تتهيأ،

على بعض النضج أن نكتسبه!
واقرئي إن شئتِ قول ربكِ:
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾
بعض العطاء مرهون بالوقت،
ولعل وقت إجابتكِ لم يحن بعد،
فلا تقلعي عن الدعاء، وانتظري!
واقرئي أيضاً قول ربكِ:
﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾
لو أخذ اليتيمان الكنز باكراً لأضاعاه،
أو لسلبهم الناس إياه،
كان على بعض العطاء أن يبقى مخبئاً حتى تحين اللحظة المناسبة!

أعمالٌ منزليّة!

أنتِ أيضاً صحابيّة!
تريدين أن تدخلي بيوت أخواتكِ الصحابيات،
كي تشاهدي حياتهنَّ عن قُربٍ!
فلطالما سألتِ نفسكِ: كيف هي أيامهُنَّ؟
أتراهُنَّ يُشبهننا، أيعملن، ويطبخنَ، ويكنسنَ؟
أكانت تدور بينهن وبين أزواجهنَّ تلك الأحاديث التي
تدور في بيوتنا اليوم؟
وها أنتِ على موعد لدخول منزلٍ كان النبيُّ ﷺ يُحبُّه
وكان كثيراً ما يأتيه زائراً، ومتفقداً، ومتحبباً
أنتِ الآن في بيت فاطمة الزهراء سيدة أهل الجنَّة،
فاطمة تشكو إلى زوجها علي بن أبي طالب،
شدة تعبها، وكثرة إرهاقها من عملها في البيت،
هي الآن تخبره كيف جرَّتْ بالرَّحى حتى أثَّرتْ في يدها،
وكيف استقتْ بالقِربة حتى أثَّرتْ في عُنقها،
وكيف كنستْ البيت حتى اغبرَّتْ ثيابها!
فقال لها: لقد جيء لأبيكِ بسبي
فلو ذهبتِ إليه وسألتِه خادماً!
فذهبتْ فاطمة إلى النبيِّ ﷺ فوجدتْ عنده أُناساً،
فلم تُحدثه بحاجتها أمامهم،
ولكنها أخبرتْ عائشة بسبب مجيئها،
وعادت إلى بيتها،

فلما انتهى النبيُّ ﷺ مما كان فيه،
أخبرته عائشة بتعب فاطمة من عمل البيت،
وطلبها خادماً، فذهبَ إلى بيتها ﷺ،
وكانتْ وزوجها قد أخذا مضجعهما للنوم،
فاستأذن، ثم دخل عليهما وقال ﷺ:
ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟
إذا أتيتما مضجعكما فكبِّرا ثلاثاً وثلاثين،
وسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين
فهو خير لكما من خادم!

يا صحابيَّة،
هذه سيدة نساء أهل الجنة،
تطحنُ الحبوب بالرحى حتى يُؤَثر ذلك في يدها،
وتستقي الماء وتحمله في القِربة حتى تجد أثرها في رقبتها،
وتكنسُ بيتها حتى تتسخ ثيابها من هذا،
فهل انتقص بهذا قدرها عند زوجها، أو أبيها، أو ربها
فلا تستمعي لهذه الأصوات الناعقة التي تريد هدم البيوت،
والتي تُصور عمل المرأة في بيتها كأنه نوع من الرق،
هؤلاء يحاولون باسم الحرية أن يمزقوا الأسرة!
ويحاولون باسم المساواة أن يرموا الأولاد في الشارع!
أين العبودية في أن تعمل المرأة في بيتها؟!
وأين الرق في أن تطبخ لأولادها وزوجها؟!
وأين الامتهان في أن ترعى مصالح أسرتها؟!

لم تكن فاطمة ممتهنة وهي تطحن الحب لتطبخه،
ولم تكن مهانة وهي تحضر الماء لبيتها،
ولم تكن ناقصة في إنسانيتها وهي تكنس وتُنظف،
زوجها كان فقيراً لا يستطيع أن يحضر لها خادماً،
فماذا تفعل؟
أتلقي أولادها في الشارع وترجع إلى بيت أبيها؟
أهذا هو التحرر والشجاعة والمساواة؟
أم هو التخلي، وعدم تحمل المسؤولية، وعدم فهم الحياة؟
وأبوها لم يعطِها خادماً لأنه لو فعل،
فعليه أن يُعطي كل بنات المسلمين مثلها وهو لا يستطيع!
فماذا تفعل؟
تعقُّ أباها وتتهمه بمعاونة زوجها عليها،
أهذه هي الحرية، والتنوير، والأفكار المتقدمة؟
أم هو العقوق، والقسوة، والأنانية!
فلا تجعلي أذنيك مكب نفايات لأفكارهم القذرة!
لقد نظروا في هذه الأمّة فغاظهم
كيف أن بيوت المسلمين للآن قائمة ولم تُهدم،
غاظهم مشهد زوجة صبورة رغم كل شيء،
وغاظهم مشهد أب يكد ويكدح ليواري كرامة أسرته،
غاظتهم بيوت تُقام فيها الصلوات وتجتمع على مائدة الإفطار،
غاظهم الحجاب وعفته،
ولن يهدموا كل هذا إلا حين يُخرجوا المرأة من بيتها،
لأنها عماد الأسرة، ومصدر استقرارها!

يا صحابيّة،
إن قلتِ إن عمل البيت شاق،
فهذا القول نبصمُ لكِ عليه بالأصابع العشرة!
وإن قلتِ إنه مُنهك،
فهذا القول نردده معكِ ولا نشك فيه!
ولكن أليست هذه هي الحياة، ولكل إنسان دوره فيها؟
أليس لكل عملٍ مشقته؟
بربكِ، انظري حولكِ واخبريني أيوجد عمل بلا مشقة؟!
الناس يحفرون في صخر الحياة بحثاً عن رغيف،
حتى تلك الوظائف التي تبدو لكِ سهلة،
فإن فيها مشقة وإن غابتْ عنكِ،
حرس الرئاسة يقفون الساعات الطِوال،
والموظفون في البنوك، والدوائر، والأعمال المكتبية،
أغلبهم يعاني من «الديسك»، وأوجاع العظام والمفاصل
أعملُ الجندي سهل؟
أم عمل الطبيب الذي يستدعونه من عز نومه لحالة طارئة؟
حتى الساسة يقضمُ القلق أطرافهم!
لا راحة في هذا الكوكب يا صحابيّة!
كل إنجاز لا بد معه من تعب،
وكل عملٍ عظيم لا بد أن يصحبه إرهاق!
دعكِ من الناس الآن وانظري في الكون حولكِ،
ألا يبني العصفور عشه قشةً قشةً؟
ألا يسافر النحل المسافات بحثاً عن رحيق؟

ألا يعمل النمل ليل نهار؟
كل ما في الكون يعمل، ويبذلُ جهداً، ويشعرُ بالتعب،
وأنتِ ابنة هذا الكون وهذا الكوكب فاعملي كتب الله أجركِ!

يا صحابيَّة،
لا شيء في أن تحصل المرأة على خادمة،
ونبيل هو الزوج الذي يستطيع إحضار من يساعد زوجته ويفعل،
وليست نهاية الدنيا إن لم تحصل المرأة على خادمة!
ولا نهاية الزواج إن عملت المرأة في بيتها،
هذا واجبها الذي إن قامت به نالتْ الأجر،
تماماً كما هو واجب الزوج العمل خارج البيت،
وتأمين المال، وهو مأجور إن قام بهذا،
فاحتسبي الأجر في كل ما تقومين به،
وغيري نظرتك لنفسكِ!
أنتِ لستِ خادمة حين تقومين برعاية أسرتكِ،
أنتِ سيدة البيت، وصمام أمانه!
أنتِ حافظته من بعد الله، وبدونك يضيع وينحلّ
لا تنظري إلى الجهد المبذول فقط!
ولكن انظري إلى الأثر يهُن عليكِ المسير،
سلال الغسيل الممتلئة تعني ملابس نظيفة لأولادك،
والمجلى الممتلئ بالأواني يعني طعاماً شهياً لأسرتكِ،
الكركبة في البيت تعني أنه مكان آمن للأولاد،
إنهم يشعرون بالحب، ولا يخافون العقوبة، وهم أهم من الأثاث!

إذا أردتِ أن تعرفي عظمة ما تفعلينه،
تخيلي حال البيت لو توقفتِ يوماً عن فعله!
واحتسبي الأجر كما قلتُ لكِ سابقاً
تحسسي الملائكة تكتبُ في صحيفتك كل عمل تقومين به،
تحسسي أجر في كل كبد رطبة صدقة!
كل لقمة يأكلها أولادكِ وزوجكِ لكِ فيها أجر!
كل إفطار في رمضان لكِ أجر الصائمين كلهم!
ألستِ من قام بإطعامهم فلكِ كأجور الجميع؟!
تحسسي في كل ثوب نظيف يرتديه أولادك وزوجك صدقة!
وفي كل حرفٍ تعلمينه لولد أجر!
وفي كل إحسانٍ تعطينه لزوجٍ أجر!
نحن في عبادة دوماً إذا أصلحنا نوايانا،
ورضينا بما قسمه الله تعالى لنا،
مواقف الحياة العادية تصبحُ عبادة إذا خلصت النوايا،
تخيلي الحجاب مثلاً،
إذا ذهبتِ العائلة في نُزهة وكنتِ معهم،
هم في المُباح وأنتِ في العبادة!
وعليه قيسي كل شؤون الحياة!

شَهادة!

أنتِ أيضاً صحابيَّة
تريدين أن تعرفي كيف كان حبيبُكِ ونبيّك ﷺ
يتعامل مع الصحابة في شؤون الحياة العادية،
وتسألين: أكان يقضي في شؤون بيوتهم إذا استشاروه؟
أم أنه كان يعتبرُ هذا أمراً خاصاً بهم فلا يتدخل فيه،
وإن الإجابة على هذا السؤال لن تطول عليكِ كثيراً،
فها هو النعمان بن بشير يُحدِّثكِ ويروي تعطّشك فيقول:
سألتْ أمي عمرةَ بنت رواحة أبي أن يهبني بعض ماله،
فماطلها في هذا سنة، ثم قرر أن يُوافق،
فقالتْ له: لا أرضى حتى تُشهدَ النبيَّ ﷺ
على ما وهبتَ لابني!
فأخذ أبي بيدي، وأنا يومئذٍ غُلام صغير،
فأتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله،
إنَّ أم هذا بنتَ رواحة أعجبَها أن أُشهدكَ على الذي وهبتُ لابنها،
فقال له النبيُّ ﷺ: يا بشير، ألكَ ولدٌ سوى هذا؟
قال: نعم
فقال له النبيُّ ﷺ: فلا تُشهدني إذاً، فإني لا أشهدُ على زور!

يا صحابيَّة،
إن الإنسان يملك كل أحشائه عدا قلبه،
وحُبُّ الأم لأحد أولادها أكثر من غيره وارد،

وهذا لا يعني بغض البقية إطلاقاً!
الفكرة أن ثمة ميل وإحساس تجاه ولد أو بنت،
يجده الإنسان في نفسه ولا يستطيع أن يتحكم به!
وإن اللّه سبحانه لا يُؤاخذنا بما في قلوبنا لناحية المشاعر،
ولكنه يؤاخذنا في عدم العدل في المعاملة والأعطيات!
قد لا تملكين أن تُحبي كل أولادكِ بالتساوي،
فلا يملك المرءُ زمام قلبه،
ولكنكِ تملكين أن تعامليهم جميعاً بالأسلوب الحسن نفسه!
وتملكين أن تعدلي بينهم في الأعطيات والهبات والهدايا!
فالعدلُ لا علاقة له بالحُب مطلقاً!
إنه مبدأ نبيل يعلو على كل المشاعر،
وقد أمرنا اللّه تعالى أن نؤديه للأعداء فكيف للأحبة؟!
أسلم زيد بن الخطاب قبل عمر الفاروق بسنواتٍ وأخفى إسلامه،
وكان الخطاب أبوهما شديداً قاسياً يشتدُّ عليهما،
ولأن زيداً كان أكبر من عُمر بعشر سنوات،
كان يعامله كأبٍ حنون، لا كأخٍ كبير فقط!
فتعلَّق قلب الفاروق بأخيه تعلقاً كبيراً،
وكان زيد بن الخطاب من أوائل الذين هاجروا في سبيل اللّه،
وشهد كل المعارك مع النبيِّ ﷺ
واستشهد في حروب الردة على يد أبي مريم الحنفي
في خلافة أبي بكر الصديق،
في معركة اليمامة تحديداً وكان يحملُ راية المسلمين يومها!
فحزن عُمر عليه حزناً شديداً، وكان يبكيه كلما ذكره!

ثم إنَّ أبا مريم أسلم بعد ردَّة، وآمن بعد كُفر!
فلقيه عُمر مرَّةً في خلافته وقال له:
واللّهِ لا أُحبكَ حتى تُحب الأرض الدم المسفوح!
فقال له أبو مريم: أتمنعني لهذا حقاً هو لي؟
فقال له عمر: لا
فقال: أتغصبني حقاً ليس لكَ؟
فقال له عمر: لا
فقال أبو مريم: فإن كان هذا عدلٌ وإنصاف أمير المؤمنين
فلا يضرني بُغضه، فإنما يحفلُ بالحبُ النساء!
فإذا كان الفاروق يعدلُ ولا يُميز بين رعيته حتى قاتِل أخيه
فأنتِ أولى بالعدل بين أولادكِ وكلهم من رحمكِ!

يا صحابيّة،
الأولاد أذكياء جداً ولمّاحون كثيراً إذا ما تعلق الأمر
بالتمييز في المعاملة، والأعطيات والهبات!
وما قصَّ اللّه تعالى علينا قصص الأنبياء عليهم السلام إلا للعبرة،
وقد كان لكِ في يعقوب عليه السّلام وأولاده عبرة!
صحيح أنَّ ما فعله أولاده بأخيهم يوسف عليه السلام لا مبرر له،
ولكن حُب يعقوب عليه السلام الكبير ليوسف عليه السلام كان واضحاً
وخشيته الزائدة عليه كانت ماثلة للعيان!
وهذا ما أوقد نار الغيرة والحسد في قلوبهم!
فاتقي اللّه في أولادكِ،

أنتِ حين تميزين بينهم في المعاملة،
فإنك بهذا لا تُقدمين حُباً مفرطاً فقط،
وإنما تُغرين بينهم عداوة،
وتوقدين للقطيعة ناراً!
فلا تقطعي رحمكِ بيدكِ!
ولا تُشعلي بينهم حرباً ستكونين أنتِ إحدى ضحاياها!

يا صحابيّة،
قد لا تكونين الزوجة الوحيدة لزوجكِ،
وقد يكون له أولاد من غيركِ،
لا أحد يُطالبكِ أن تُحبي أولاد ضرتكِ كحبكِ لأولادكِ!
هذا لا يطلبه منكِ عاقل!
وهو أولاً وأخيراً بخلاف الفطرة الإنسانية!
ولكن سعيكِ عند زوجكِ أن يخصص لأولادكِ،
ما لا يُخصصه لأولاد ضرتكِ،
هو ظلم تحاسبين عليه يوم القيامة!
وفي الحديث: ومن اقتطع من حق مسلم ما لا يحق له،
طُوِّقَ يوم القيامة بلجام من نار!
قالوا له: يا رسول الله ولو كان شيئاً يسيراً؟
قال: ولو كان عوداً من أراك!
تخيلي، ولو كان سواكاً ثمنه ريال أو درهم أو دينار
لا تأكلي حراماً، ولا ترضي أن يأكله أولادكِ!
فإنَّ الميراث جعله الله تعالى بسبب رابطة الدم والقرابة

لا بسبب رابطة المحبة والهوى!
وأولادكِ في الشرع من أبيهم كأولاد ضرتكِ!

يا صحابيَّة،
قد يكون لكِ ابنة أرملة،
أو قد يكون لكِ ولد فقير وإخوته أفضل حالاً منه
فإن راعيتِ هذه الفوارق بشيء من المساعدة فلا بأس!
بل هذا هو الأصل والحكمة والعدل،
والتي لها زوج ميسور ليست كالأرملة،
والولد الغنيُّ ليس كالولد الفقير،
ولكن إن جبرتِ فقر أحدٍ فاجعلي هذا سراً!
كي لا تُغري بينهم العداوة،
بل وأنتِ مأجورة إذا لفتِ نظر الإخوة،
ليساعد منهم الغنيُ الفقيرَ، والميسورُ المعدمَ!
ولكن في الوصية والمواريث العدل هو ما شرعه اللّه،
ولا يُراعى فيه أي اعتبار آخر!
ولا يحقُّ لكِ أن تعطي أحداً فوق ما أعطاه اللّه،
إلا برضى البقية إن قبلوا أن يُراعوا حال بعضهم بعضًا!

زواج غريب!

أنتِ أيضاً صحابيّة!
ولكِ في أحاديث الصحابة والصحابيات عِبرة ومتعة،
وإنكِ الآن على موعدٍ مع واحدةٍ من غرائب الأحداث!
أنتِ الآن مع جُليبيب!
الصحابي دميم الوجه، قصير القامة، الفقير
وهي صفات لا ترغبها النساء في الرجال من الأزل،
وسيبقين لا يرغبنَ فيها حتى يوم القيامة،
فلا غنىً في المال يُعوِّض شيئاً من الدمامة،
ولا وسامة تُعوِّض شيئاً من الفقر،
كان رصيد جُليبيب في الحياة أن النبيَّ ﷺ يُحبُّه،
وهو رصيد وافر واللّه، وعطاء باذخ!
ولكن للناس حسابات أخرى إذا ما تعلّقَ الأمر بالزواج!
وأراد النبيُّ ﷺ أن يبحث لجليبيب عن زوجة،
فقال لرجلٍ من الأنصار: زوِّجني ابنتكَ!
فقال الأنصاريُّ: نِعْمَ عيني يا رسول اللّه!
فقال له: إني لستُ أريدها لنفسي!
قال: فلمن يا رسول اللّه؟
قال: لجليبيب!
فقال: حتى أشاور أمها...
فأتى زوجته، وأخبرها بالخبر، فقالت: لا واللّهِ ما نُزوِّجه!
فلما أراد أن يقوم ويُبلغ النبيَّ ﷺ قرارهما برفض عرضه،

قالت لها البنت: من خطبني منكما؟
فقالا: رسول اللّه!
فقالتْ: أتردُّنَ أمرَ رسول اللّه، قبلتُ، ولن يضيعني اللّه!
وتمَّ الزواج...
ثم كانتْ غزوة، وكان من عادة النبي ﷺ
إذا انتهتْ المعركة أن يقول: هل تفقدون أحداً؟
فقالوا: لا يا رسول اللّه!
فقال: لكني أفقدُ جليبيباً، فابحثوا عنه بين القتلى!
فبحثوا عنه، فوجدوه إلى جانب سبعةٍ قد قتلهم، ثم قتلوه!
فقالوا: ها هو يا رسول اللّه!
فأتاه، ووقف عند رأسه وقال: قتلَ سبعةً وقتلوه!
هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه!
ثم وضعه على ساعده ريثما يُحفر له قبر،
فلما انتهوا من الحفر، قام بنفسه وأنزله في قبره!

يا صحابيَّة،
كان عمر بن الخطاب يقول:
لا تُكرهوا بناتكم على الرجل القبيح، فإنهنَّ يُحببنَ ما تُحبون!
وهو يقصدُ بهذا أنه كما يميل الرجل للمرأة الجميلة،
فإن المرأة تميل إلى الرجل الوسيم أيضاً!
ويُحسبُ للفتاة في هذه القصة أنها قدَّمت
أمر النبيِّ ﷺ على هواها وفطرتها!
ولو أنها رفضتْ هذا الزواج ما كانت عاصية!

هذا طلب شخصي حياتي من النبيِّ ﷺ،
وليس أمراً دينياً، ولا حكماً شرعياً،
لا تملكُ البنتُ أمامه شيئاً!
وليس لأحدٍ في الكون أن يُجبركِ على الزواج برجل لم يُعجبكِ،
ليس في هذا قلة أدبٍ ولا دين!
والزواج إنما شرعه اللّٰه تعالى من أجل العفة،
عفة الشاب، وعفة الفتاة!
ولا يختلف عاقلان أن الرغبة والإعجاب بالشريك،
تجعله يُقبل عليه إقبالاً لا يُقبله على من لا يرغبُ به،
وهذا يساعدُ على تحقيق العفة، والاكتفاء بالحلال!

يا صحابيَّة،
من حق الأهل أيضاً أن يختاروا لبناتهم،
الأفضل تعليماً، ووظيفةً، وغنى،
وهذا لا شيء فيه، على العكس تماماً!
هذا من حُسن تأدية الأمانة،
والبنت نهاية المطاف أمانة عند أهلها حتى يؤدون هذه الأمانة!
صحيح أنه يجب أن نبحث عن الدين والخُلق أولاً،
ولكن ما المانع أن يجتمع الدين والجمال معاً؟
أو يجتمع الدين والوظيفة المرموقة معاً؟
أو يجتمع الدين والتعلم العالي معاً؟
لا مانع أبداً!
وسعي الأهل لزوج أفضل لابنتهم سعي مشكور،

ولكل عائلة عاداتها، ونظرتها، وتقاليدها،
ولو أنَّ أهل البنت في هذه القصة رفضوا تزويجها لجليبيب،
لم يكن عليهم إثم، ولا كانت معصية،
الخطبة طلب يُقدم لأهل البنت،
ومن حقهم أن يقبلوا أو يرفضوا ولو كان الخاطب نبياً!
ولكن على أهمية الشكل والأناقة والمال،
إلا أن هناك فارقًا شاسعًا بين البحث
عن هذه الأمور ساعة الارتباط،
وبين أن تكون هي المعيار الوحيد!
من يشترط الغنى فقط لزوج ابنته،
فهو تاجر وليس أباً !
والبنت التي تريدُ الوسامة فقط،
لا تطلبُ زوجاً وإنما عارض أزياء!
والعائلة التي تريدُ مركزاً مرموقاً من زوج ابنتها فقط،
هي عائلة مظاهر فارغة!

يا صحابيَّة،
الدِّين أولاً، ثم تأتي بقية الصفات!
الوسامة يُغيرها الزمن أما الاخلاق فتبقى!
والمال قد يضيع أما الأخلاق فتبقى!
والمركز المرموق قد يتلاشى أما الأخلاق فتبقى!
صدقيني إذا ارتبطتِ بشاب وسيم بلا أخلاق،
سيجعلكِ سوء خلقه ترينه شيطاناً رجيماً!

الأخلاق بعد الزواج وحدها تجعلنا نبدو أجمل!
وإذا ارتبطتِ بشاب غني بلا أخلاق،
سيجعلكِ سوء خلقه تتحسرين على عمركِ !
وستتمنين زوجاً فقيراً يعاملكِ بالحسنى ويُحبكِ!
ما فائدة السرير الواسع مع قلب ضيق؟!
وما فائدة السفر من بلد إلى بلد والحزن مقيم في القلب؟!
ما فائدة الحُلي، والأساور، والقلائد،
وهي تصبح مع التعاسة أغلالاً لا أكثر؟!
ما فائدة معدة ممتلئة بأطيب الطعام،
وفي النفس جوع لكلمة حُب، ومعاملة حسنة؟!
ما فائدة السيارة الفارهة إن صارتّ سيارة نقل موتى،
موتى، قتلهم الإهمال، والإساءات، وإن لم يُعلنوا وفاتهم!

يا صحابيَّة،
جاء رجل وسيم ميسور ليخطب فتاة،
فسأله أبوها: أي ساعة هي صلاة الفجر؟
فقال: لا أدري!
فقال له: طلبُكَ ليس عندي!
مهم أن يُعجبكِ وجه خاطبكِ،
ولكن لا تنسي أن تنظري إلى قلبه!
مهم أن تُعجبكِ وظيفته،
ولكن لا تنسي بره بأمه وأبيه!
فالذي يسيءُ للمرأة التي ربته شبراً بشبر،

لن يُحسن إليكِ أنتِ!
ومهم أن تسألي كم يملك،
ولكن لا تنسي أن تسألي عن علاقته بربه!
الذي يخاف الله لن يظلمكِ وإن لم يُحبكِ!
وإن أحبكِ جعلكِ تاجاً على رأسه!
فابحثي عن الدين تربتْ يداكِ!

يا صحابيَّة،
الفقرُ ليس عيباً،
وقد كانت تمرُّ الأيام ولا يوقدُ نارٌ
في بيت النبيِّ ﷺ لطعام
لم يكن لهم إلا التمر والماء!
وكانت أزواج النبيِّ ﷺ أكثر النساء دلالاً واحتراماً!
والمهنة مهما كانت ليست عيباً،
ما دامت تعطينا رغيفاً وثوباً بالحلال نهاية المطاف،
وقد كان زكريا عليه السلام نجاراً،
وكان نبيُّ الله داود عليه السلام يأكل من عمل يده،
فلا الطبيبُ أفضل من النجار إلا بدينه وخلقه،
ولا الوزير أفضل من الخفير إلا بقلبه ودينه،
ثمة أشياء يقوم عليها الزواج أهم من المال والمناصب والوسامة،
فابحثي عنها أولاً ثم تأتي بقية الأشياء!

مع ماعزٍ رضي اللّه عنه!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
وتعرفين أن الصحابة وإن كانوا خير الناس بعد الأنبياء،
إلا أنهم نهاية المطاف بشر!
وأنه يقع منهم الخطأ كما يقع من كل واحدٍ منا،
وأنه لا عصمة إلا لنبي!
عندما زنى ماعزٌ رضي اللّه عنه،
مرَّ بصديقٍ له اسمه هُزال الأسلمي وحدَّثه بما كان منه،
ولكنَّ هُزالاً لم يعظه، ولم يحثه على التوبة،
بل أشار عليه أن ينطلق إلى النبي ﷺ ويخبره،
فأتى ماعزٌ إلى النبيِّ ﷺ واعترف عنده بالزنا،
فأمرَ النبيُّ ﷺ برجمه!
لأنَّ الأمرَ إذا وصل إلى الإمام سقطَ العفو، ولا بُدَّ مع الحَدِّ!
ثم إنَّ النبيَّ ﷺ لقيَ هُزالاً بعد ذلك،
فقال له: لو سترته بثوبكَ كان خيراً لكَ!

يا صحابيَّة،
كلنا مُطرَّزون بالعيوب ولولا رداء من اللّه،
اسمه الستر لانفضحنا،
وما نظر إلينا الناس نظرة احترام أبداً!
إنَّ اللّه تعالى ستِّير يُحِبُّ السِّتر!
ومن عاملَ الناس بخُلقٍ عامله اللّه بمثله!

السَّاترُ على الناس يستره اللّه !
وجابر الخواطر يجبرُ اللّه خاطره!
والماشي في حاجة الناس يجعلُ اللّه تعالى له
من يمشي في حاجته عندما يحتاج!
والسَّاعي لإصلاح ذات البين،
يُسخِّرُ اللّه تعالى له من يسعى لإصلاح أمره!
فإذا أردتِ أن لا يرفع اللّه عنكِ ستره،
فلا ترفعي أنتِ الستر عن أحد من خلقه!
ذنب فلانة وفلان لا تُفشيه إذا وصل إليكِ،
ما منا إلا وله ذنوب!
ولو كان للذنوب روائح ما جالس أحدٌ أحداً!
البيوت التي تدخلينها ادخليها عمياء!
واخرجي منها خرساء!
كل مكان وطئتيه أنتِ مؤتمنة عليه!
المشكلة التي دخلتِ فيها مصلحة وناصحة،
ليس لكِ أن تُذيعي تفاصيلها فيما بعد،
ومن كشف لكِ موضع عورة في حياته،
استريها بكل ما أوتيتِ من قوة!

يا صحابيَّة،
ليس في ديننا ما نخجلُ منه
نعم وضع الإسلام العظيم حدوداً، وعقوبات،
وما قام مجتمع بشري يوماً إلا وله نظام عقوبات،

وإن اختلفت من مجتمع لآخر إلا أنها موجودة،
إذا لا يقوم مجتمع بشري دونها!
ولكن الإسلام الرحيم حثَّ على التوبة والستر!
وما دام اللّه ستر على الإنسان معصيته،
فالأولى أن لا يكشف ستر اللّه عنه!
ولا يذهب لا إلى الحاكم ولا القاضي لينزل عليه العقوبة!
يقول ابن تيمية:
والأصل في الذنوب والتوبة والاستغفار لا إقامة الحدود!
توبي بينكِ وبين اللّه!
ولا تطلعي أحداً من العالمين على ذنوبكِ!
نحن لسنا نصارى نذهب إلى الكنائس لنعترف بأخطائنا
لإنسان مثلنا له أخطاء أيضاً!
نحن أكرمنا اللّه بدين قائم على الستر،
وجعل التوبة بيننا وبينه سبحانه!
والناس تُعيِّرُ بالذنب ولا تنسى،
واللّه يغفرُ، ويسترُ، ويصفحُ!

يا صحابيَّة،
كان عمر بن الخطاب جالساً مع أصحابه،
فأخرجَ أحدُ الحاضرين ريحاً،
فأراد عمر أن يأمر صاحب ذلك الريح،
أن يقوم ويتوضأ!
فقال جرير بن عبد اللّه لعمر:

يا أمير المؤمنين أوَيتوضأُ القومُ جميعاً؟!
فسُرَّ عمر بن الخطاب من رأيه وقال له:
رحمكَ اللّه، نِعم السيدُ كنتَ في الجاهلية!
ونِعمَ السيدُ أنتَ في الإسلام!
أُنظري إلى أي حد بلغ عندهم الستر،
ليس في الذنوب فقط وإنما في كل ما فيه إحراج!
موقف محرجٌ للرجل لو قام وتوضأ،
فسيعرف كل من في المجلس أنه من أخرجَ ريحاً!
فأشار جرير على عمر أن يقوم الجميع للوضوء،
واستحسن عمر هذا الرأي،
وهكذا توضأ الجميع وما درى أحد من صاحب الريح!
على الإنسان أن يكون لبقاً مع الناس،
وأن يحافظ على ماء وجوههم كما يحافظ على ماء وجهه،
نحن كرامات ومشاعر أولاً ثم تأتي بقية الأشياء!
فحاولي أن لا تُحرجي أحداً أبداً،
إذا علمتِ أن زوجكِ غير قادر على شراء شيء تريدينه،
فلا تطلبيه منه وتشعريه بالعجز وقلة الحيلة،
وإذا علمتِ بمناسبة فرح أو ترح عند صديقة لكِ،
وهي عاجزة عن القيام بأعبائها فساعديها!
فإنَّ هذا من الستر أيضاً!
لماذا على الناس أن يروا عجز بعضهم وتقصيرهم؟
حتى إن وصلكِ كلام قيل بحقكِ،
واستطعتِ أن لا تواجهي قائله فافعلي!

الناس يخونهم التعبير أحياناً،
وقد يقولون في ساعات الغضب ما لا يرضونه هم!
فاستريها عليهم،
فما منا أحد إلا ويُحبُّ أن تُقال عثرته!
عندما صفع أبو جهل أسماء بنت أبي بكر يوم الهجرة،
انتبه أنَّ هذا فعل ضد المروءة والعرب لا تضرب النساء،
فقال لمن حوله: اكتموها عني!
هذا وهو كافر، والناس في بعض الأشياء يتشابهون!

يا صحابيَّة،
في كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان:
أنَّ الإمام أبا حنيفة النعمان كان له جار إسكافي،
يعمل طوال النهار، فإذا رجع إلى منزله ليلاً تعشى ثم شرِبَ!
فإذا دبَّ الشرابُ فيه، وسَكِرَ، أنشدَ يقول:
أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريهةٍ وسداد ثغرٍ
ولم يزل يشربُ ويرددُ هذا البيت حتى ينام
وأبو حنيفة يسمع كل هذا، ويصبرُ عليه، ويستره
وذات ليلةٍ قام أبو حنيفة ليصلي فلم يسمع صوت جاره
فسأل عنه، فقيل له: أخذته الشرطة!
فلما صلى الفجر، ركب بغلته، وأتى دار الأمير، واستأذن
فقال الأمير: ائذنوا للشيخ على الفور
فلما دخل عليه أكرمه، وقال له: ما حاجتكَ؟

فقال: جئتُ أشفعُ في جاري فلان،

فقال الأمير: أطلقوا جار الشيخ!

وركب أبو حنيفة بغلته، ومشى الإسكافي خلفه،

فقال له أبو حنيفة: يا فتى هل أضعناك؟

فقال: بل حفظتَ ورعيتَ، فجزاكَ اللّه خيراً على حرمة الجوار!

ولم يعد إلى ما كان يفعل!

كان بإمكان أبي حنيفة أن يشتكي على جاره السّكّير

ولكنه ستره ولم يخبر أحداً بمعصيته!

بل وذهبَ إلى الأمير يشفع له،

فكان ثمن الستر والشفاعة أن تابَ الإسكافي،

نحتاج أن ننظر في ذنوب الناس على أننا عباد،

لا على أننا أرباب!

وأن الفارق بيننا وبينهم هداية اللّه وستره،

ولو رفعها عنا لكنا مكانهم!

وما عيَّرَ أحدٌ أحداً بذنبٍ إلا ارتكبه فيما بعد،

كان عبد اللّه بن عمر بن الخطاب يقول:

لو عيَّرتُ امرأةً بالحمل ساخراً لخشيتُ أن أحبل!

لأنه كان يعرف أن الفاضح يُفتضح،

والمُعيِّرُ مسلماً بذنب سيقع فيه!

هذه سنة اللّه في الكون تعلمها من النبيِّ ﷺ

وماتَ محمد بن سيرين في السجن،

بعد أن خسر كل ثروته في تجارة،

وكان قبل أن يموت يقول:

إني كنتُ أنتظر هذا من عشرين سنة،
لقد عيَّرتُ رجلاً، وقلتُ له: يا مُفلس!

يا صحابيَّة،
روى أبو داود في صحيحه:
أن الصحابي الجليل عقبة بن عامرٍ كان له كاتب،
وكان جيران هذا الكاتب يشربون الخمر،
فقال يومها لعقبة: إنَّ لنا جيراناً يشربون الخمر،
وسأبلغ الشرطة ليأخذوهم!
فقال له عُقبة: لا تفعل، وعِظهُمْ!
فقال الكاتب: إني قد نهيتهم فلم ينتهوا، وأنا داعٍ لهم الشرطة!
فقال له عقبَة: ويحكَ، لا تفعل!
فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:
من رأى عورةً فسترها كان كمن أحيا موؤودة!
تأمليها بقلبك يا صحابية: كمن أحيا موؤودة!
فلا تزهدي في أجر إحياء الموؤودات
واستري ولا تفضحي، وغطي ولا تكشفي!

يا صحابيّة،
يقول أحمد بن مهدي الأصبهاني، وكان إماماً حافظاً فقيهاً،
ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء، وأثنى عليه:
جاءتني امرأة ببغداد في ليلة من الليالي،
وذكرت أنها من بنات الناس، ولها عائلة،

وقالتْ: أسألك باللّه أن تسترني!
فقلتُ: وما قصتكِ؟
فقالتْ: أُكرهتُ على نفسي، وأنا الآن حامل!
وقد توقعتُ فيكَ النجدة والشهامة والستر،
فذكرتُ لكل من يعرفني أنكَ زوجي،
وأنَّ ما بي من حملٍ إنما هو منك!
فأرجوك لا تفضحني، واسترني ستركَ اللّهُ عزَّ وجل!
سمعتُ كلامها، وسكتُّ عنها، ثم مضتْ...
وبعد فترةٍ وضعتْ مولوداً،
ففوجئتُ بإمام المسجد يأتي إلى داري ومعه الجيران،
يهنئونني، ويباركون لي بالمولود!
فأظهرتُ لهم الفرح والتهلل،
ودخلتُ غرفتي، وأتيتُ بمئة درهم، وأعطيتها للإمام،
وقلتُ له: بشَّركَ اللّه بالخير!
أنتَ تعلمُ أني طلقتُ تلك المرأة،
غير أنني ملزم بالنفقة على المولود!
أعطِ هذه للأم، وسأتكفل بمثلها مطلع كل شهر،
وأنتم شهود على ذلك!
واستمررتُ على هذا دون أن أرى المرأة ومولودها،
وبعد ما يُقارب من عامين توفي المولود،
فجاءني الناس يعزوني!
فأظهرتُ لهم التسليم بقضاء اللّه وقدره،
ويعلمُ اللّه أنَّ حزناً عظيماً قد تملكني

لأنني تخيلتُ المصيبة التي حلَّتْ بتلك الأم المنكوبة!
وإذا ببابي يُقرعُ في ليلة من الليالي،
فلما فتحتُ الباب فإذا هي المرأة ومعها صرة من الدراهم،
وقالتْ لي وهي تبكي: هذه هي الدراهم التي
كنتَ تبعثها لي كل شهر، ستركَ اللّه كما سترتني!
حاولتُ أن أرجعها لها، غير أنها رفضتْ
ومضتْ في حال سبيلها...
وما هي إلا سنة، وإذا بها تتزوج من رجل غني مقتدر
أشركني معه في تجارته،
وفتحَ اللّه عليَّ بعدها أبواب الرزق من حيث لا أحتسب!

يا صحابيَّة،
روى الشيخ محمد راتب النابلسي في إحدى خطبه
أنه قبل خمسين عاماً رأى أحدُ خُطباء دمشق
النبيَّ ﷺ في المنام، فقال له:
قُلْ لجارك فلان: أنه رفيقي في الجنة!
وكان جاره هذا بائعاً فقيراً شديد الفقر،
طرقَ الخطيب باب جاره، ففتح له ورحَّبَ به،
فقال له: لكَ عندي بشارة من النبي ﷺ،
ولن أعلمكَ إياها إلا إذا أخبرتني ماذا فعلتَ مع ربكَ؟!
فامتنعَ الجار عن الكلام أول الأمر،
ولكن الخطيب أقسمَ عليه، وألحَّ،
فقال له: كنتُ خطبتُ امرأةً، وتزوجتها،

وفي الشهر الخامس كانت حاملاً في الشهر التاسع!
يعني أن الحمل لم يكن مني!
زلَّتْ قدمها، وكان بإمكاني أن أفضحها،
لكني أردتُ أن أسترها، لعلها تتوب على يديَّ،
جئتُ لها بالقابلة، وولدتْ في الليل،
وحملتُ الطفل تحت عباءتي لصلاة الفجر،
ودختُ مسجداً غير مسجدنا بعد أن بدأت الصلاة،
فوضعتُ الغلام وراء الباب والتحقتُ بالمصلين،
ولم يرني أحد!
فلما انتهت الصلاة تحلَّق المصلون حول الغلام،
فجئتُ وكأني لم أعلم ما الخبر،
فقلتُ لهم: أنا أكفله، أعطوني إياه فإني مشتاق إلى ولد!
فأخذته أمام أهل الحي على أنه لقيط،
ورددته إلى أمه، وأحسنتُ تربيته،
وتابت هي بعد ذلك وكانت خير أم وزوجة!

صدقة من نوع آخر!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
كنتِ شاهدةً على الغزوات كلها،
رأيتِ أنَّ هذا الأسلام لم ينتشر بالسَّيف أبداً،
ولكن الحق الذي لا تدعمه القوة يجعله الناس باطلاً!
والمبدأ النبيل حتى يسود، على الحزم أن يهيءَ له الطريق!
الجهاد في الإسلام ليس للتشفي والانتقام،
وإنما لإرساء هذا الدين العظيم في المجتمعات،
ولأجل هذا كانت: اذهبوا فأنتم الطلقاء!
لا يوجد في التاريخ أرحم من الإسلام،
ولا محاربين أنبل من المسلمين،
وأنتِ اليوم مع غزوة مفصلية من غزوات النبي ﷺ ،
إنها غزوة تبوك!
الغزوة الأبعد مسافة من المدينة المنورة معقل الإسلام!
والأشق من حيث المناخ فالوقتُ صيف والصحراء لظى!
ولم يكن عند النبيِّ ﷺ مال يجهز به الجيش،
لهذا عُرِفَ ذاك الجيش بجيش العُسرة،
وحثَّ النبيُّ ﷺ على الصَّدقة،
فكانوا كعادتهم، على ما يحبُّ الله ورسوله فجادوا بأموالهم،
جاء أبو بكر بكل ماله، وعمر بنصفه، والعباس بصدقة كثيرة
غير أن عثمان بن عفان الثري الشهم جهز ثلث الجيش!
فنال وساماً نبوياً رفيعاً من طراز:

«ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم!»
وبينما النبيُّ ﷺ يحثُّ على الصدقة،
قام عُلبة بن زيد وقال:
يا رسول اللّه إني فقير، وليس لديَّ ما أتصدقُ به ،
ولكني أُشهدكَ أني قد تصدقتُ بعرضي
على من ناله من المسلمين!
ولم يُعلِّق النبيُّ ﷺ على قول عُلبة
ولكنَّ النبيَّ ﷺ قال في اليوم التالي:
أين المتصدق بعرضه البارحة؟
فقام عُلبة بن زيدٍ فقال: ها أنا يا رسول اللّه
فقال له النبيُّ ﷺ: قد قبلَ اللّهُ منكَ صدقتكَ!

يا صحابيَّة،
إذا حصل خلاف بينكِ وبين أختٍ لكِ أو صديقة
ورأيتِ الحقَّ معكِ فلا تنتظري كثيراً،
كلما طال أمدُ الخلاف كلما زادت الفرقة!
فبادري، ولا تدعي الشيطان يعزف لكِ على وتر الكرامة!
وقولي: اللهم إني تصدَّقتُ بعرضي ومظلمتي لوجهك الكريم،
اللّه تعالى يعاملُ الناس بالخُلق الذي يعاملون به الناس،
من عفا، عفا اللّه عنه!
ومن أقال العثرات، أقال اللّه تعالى عثرته،
وتذكري أنه لا يستقيم أن نطلب العفو من اللّه،
ونحن لا نعفو عن الناس!

في ترجمة الذهبي لمسعود بن محمد الهمذاني،
أنه كان من خير الناس،
وكان كثير المسامحة والصفح،
وإذا جاءه من يسترضيه رضي على الفور وقال:
إنَّ الماضي لا يُذكر!
فلما ماتَ، رؤي في المنام
فقيل له: ما فعلَ اللّه بكَ؟
فقال: أوقفني بين يديه وقال لي:
يا مسعود، الماضي لا يُذكر!
انطلقوا به إلى الجنّة!

يا صحابيَّة،
يقول أنس بن مالك:
كنا جلوساً مع النبيِّ ﷺ فقال:
يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة،
فطلعَ رجل من الأنصار، تقطر لحيته ماءً من الوضوء،
فلما كان الغد، قال النبي ﷺ مثل هذا،
فطلعَ الرجل الذي طلع أول مرة،
ولما كان الغد، قال النبيُّ ﷺ مقالته الأولى،
فطلعَ ذلكَ الرجل أيضاً!
فلما انفضَّ المجلس، قام عبد اللّه بن عمرو بن العاص وقال للرجل:
تشاجرتُ مع أبي فأقسمتُ أن لا أدخل عليه ثلاثاً،

فإن رأيتَ أن تستضيفني عندكَ حتى تنقضي!
فقال له: نعم
وأقام عبد اللّه عند الرجل فلم يره يقوم من الليل،
غير أنه إذا جافاه النوم ذكرَ اللّه تعالى في فراشه،
فاستقلَّ عبد اللّه عبادة الرجل وقال له:
لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجر،
ولكنَّ النبيَّ ﷺ قد قال كذا وكذا
فأردتُ أن آوي إليكَ لأنظر ما تفعل،
فلم أركَ كثير عملٍ، فما بلغ بكَ هذا؟
فقال: ما هو إلا الذي رأيتَ!
غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشاً،
ولا أحسد أحداً على خير أعطاه اللّه إياه،
وإذا أويتُ إلى فراشي قلت:
اللهمَّ إني عفوتُ عمّن ظلمني من المسلمين!
فقال له عبد اللّه: هذا الذي بلغَ بكَ، وهذا ما لا نُطيق!
اُنظري أين بلغَ به العفو يا صحابية!
يمشي على الأرض وهو من أهل الجنة،
لا لشيء غير أن قلبه سليم من كل حقد!
ويحب الخير للناس، ولا ينظر إلى ما في يد غيره،
وهذه مرتبة ليست مخصوصة لهذا الصحابي،
هي باب مفتوح كل شخص مثله يدخل منه!
وقد عرفتِ باباً من أبواب الجنّة، فادخلي!

يا صحابيّة،
دخلَ زيد بن أسلم على أبي دجانة وهو مريض،
فرأى وجهه يتهلل،
فقال له: ما لكَ يتهلل وجهك؟
فقال: ما من عملٍ عندي أوثق من اثنتين!
أما الأول: فإني كنتُ لا أتكلم فيما لا يعنيني،
وأما الثانية: فكان قلبي للمسلمين سليماً!
اُنظري لهذا الفهم العميق لهذا الدين العظيم،
صحابي جليل آمن، وجاهد، وصلى، وصام، وتصدق،
لكنه يرى أن أفضل أعماله خلو قلبه من الحقد!
طهري قلبكِ فهو موضع نظر الرحمن،
فإنَّ اللّه تعالى لا يحفلُ بالوجوه وإنما بالقلوب!

يا صحابيّة،
كان زين العابدين علي بن الحسين ذاهباً إلى المسجد مع غلمانه،
فاعترضه رجل، وسبَّه!
فأراد غلمانه أن يضربوه ولكنه نهاهم،
وقال للرجل: يا هذا!
فيَّ أكثر مما تقول،
وما لا تعرفه عني أكثر مما عرفته،
ثم أمر له بألف درهم!
فمضى الرجل وهو يقول له: أشهدُ أنكَ من بيت نبوة!
بهذا تُشترى القلوب، وتُطفأ النار،

إن إساءة الآخرين لكِ هي فعل،
وتطور هذا الفعل، أو انطفاؤه مرهون بردة فعلكِ!
إذا كنتِ ستقفين عند كل كلمة،
فستصبح حياتكِ كلها عبارة عن ساحة حرب!
وإذا كنتِ ستأخذين موقفاً غاضباً من كل إساءة،
فستحرقين دمكِ وأعصابكِ، وتتلفين نفسكِ!
أنتِ حين تتغاضين تربحين نفسكِ،
وتربحين الآخرين!

يا صحابيَّة،
ذهبَ عبد اللّه بن مسعود إلى السوق ليشتري طعاماً،
فسرقَ لصٌّ ماله،
فأخذ الناس يدعون على السارق،
ومنهم من يقول اللهم شُلَّ أركانه،
لكن ابن مسعودٍ قال لهم، لا تدعوا على السارق،
ثم قال: اللهم إن كان حَمَلَه على أخذها حاجة،
فبارك له فيها!
وإن كان حمله على أخذها جراءة على الذَّنب،
فاجعلها آخر ذنوبه!
اُنظري إلى هذه الرحمة بالعصاة والمذنبين،
واُنظري إلى هذه العظمة في التنازل عن الحق!
كان عبد اللّه بن مسعود أولى أن يدعو على السارق من الناس،
فهو أولاً وأخيراً صاحب المال والمعني بالأمر،

ولكنه هو أول من بادر بالعفو،

حتى أنه لم يهُنّ عليه أن يدعوَ الناسُ على السارق،

بل وتوَّج ذلك كله بأن دعا للسارق أيضاً؛

إن كان فقيراً محتاجاً أن يجعل اللّه البركة فيها،

وإن لم يكن محتاجاً أن تكون خاتمة ذنوبه،

أيَّ رُقي هذا!؟

لقد تخرجوا من مدرسة النبوة ،

وعلموا باكراً أن طلب العفو من اللّه تعالى،

يجب أن يسبقه العفو عن الناس!

بيتٌ في الجنَّة!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
تُسليكِ، وتعزِّيكِ أخبارُ النساء الأوليات،
وإنكِ ترجعين أدراج الزمان بحثاً عما يربطُ على قلبك،
وها أنتِ اليوم مع بطلةٍ من أبطال التوحيد على مرِّ الأيام،
مع جبلٍ من الإيمان والصبر والعزيمة،
امرأة عاشت في بيت فرعون،
وهي تخفي إسلامها وعبادتها وإيمانها بربها،
فقد كانت متزوجة من رجل كان من أشد الناس،
كفرًا وقسوة وجبروتًا على مرّ التاريخ،
بل كان يقول للناس ومن حوله: أنا ربكم الأعلى!
وكان يقتلُ الناس على هذا!
فقد كان بيته من بيوت الظلم،
فكان يقتل الرجال، والأطفال، ويستحيي النساء، ويستعبد البشر!
وبالمقابل كان بيت فرعون يحوي أشخاصاً من أهل الإيمان،
ومن هؤلاء الناس زوجته آسيا بنت مزاحم،
التي كانت بمثابة الأم للنبي موسى عليه السلام،
وهي التي حالت بينه وبين القتل بأمر اللّه،
فقد كان فرعون يقتل كل طفل يولد في مصر،
خوفًا على منصبه وعرشه، بعد الرؤيا الشهيرة التي رآها!
فقد رأى أن ناراً تلحق به في قصره،
فأولها المعبّرون له، بطفل يولد في بني إسرائيل،

يكون زوال ملكه على يديه!
آسيا هي المرأة التي بدأ الإيمان يأخذ قلبها،
فقد حرصت على أن لا يَبان ولا يظهر،
لأنها هي أعرف الناس بفرعون!
فقد كانت تعلم أنه ظالم ومخادع وكاذب،
ولا يمكن أن يكون هذا ربًا لقومه حتى يعبدوه،
فقد كان يمرض ويتعب ويقضي حاجته وينام وينصَب،
فقد كانت تعلم في فطرتها أن لها خالقاً،
أن لها ربّاً ليس له شريك!
وأن ليس هناك معبود بالكون سوى اللّه وحده!
فلما رأت موسى عليه السلام كيف يتكلم ويناقش فرعون،
ورأت أخاه هارون يتحدث بكلام فصيح مبين،
ورأت الآيات على يد موسى،
أيقنت في داخلها أن الإله الحق هو رب موسى وهارون فقط،
ففي البداية كان الأمر صعبًا،
لكن الإيمان لما استحكم في قلبها بدأت تواجه فرعون به،
فقالت له: يا فرعون إني قد كفرت بك!
فأجابها: ماذا تقولين؟
قالت: لقد كفرت بك ولا أبالي!
إني آمنتُ برب موسى وهارون وكفرت بك أيها الظالم!
وكانت هذه أصعب كلمة يسمعها فرعون!
لقد سمع بالتوحيد من زوجته!
قالت هذا الكلام بوجه فرعون ولم تكترث له،

ولما سيفعله بها!

فبدأ معها بالضرب فلم تبالي،

وصار يعذبها ويؤذيها،

وقال لجنوده: خذوها إلى الصحراء،

فأخذها الجنود وربطوها بأربعة أوتاد في صحراء مصر بلا طعام ولا شراب،

فجاءها فرعون وسألها أتريدين أن ترجعي معي،

فقالت: لا!

فزاد في عذابها، وتركها في الصحراء يومًا كاملًا تحت الشمس!

ثم جاءها اليوم الثاني وسألها: هل تريدين أن تستبدلي كلامك وتراجعي نفسك وتعودي إلى بيتك ودينك؟

فقالت له: واللّه ما ازددت إلا إيمانًا وصبرًا!

وفي اليوم الثالث كان كسائر الأيام فلم يجلب لها الطعام والشراب، وتركتها تحت الشمس الحارقة!

فصارت بثباتها هذا مثلاً للمؤمنين إلى يوم القيامة!

وقال ربنا عنها: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

فطلب فرعون من جنوده أن يحملوا الصخرة من أعلى مكان،

وأن يرموا بها على رأس امرأته حتى يُسطح رأسها،

فلما حملوا الصخرة ليرموا بها عليها،

أراها اللّه تعالى بيتها في الجنة!

هـذه هـي قصـة المـرأة التـي وقفـت فـي وجـه أشـهر كافـر وكاذب فـي التاريخ!

يا صحابيَّة،
قدر اللّه نافذَ قتلَ فرعونُ آلاف الأطفال على مدى سنوات،
كي لا يأتي ذاك الطفل الذي سيزيل ملكه،
ولكن عندما جاء هذا الطفل ربَّاه رغماً عنه في بيته!
لا أحد يستطيع أن يُغيِّر قدر اللّه تعالى،
وكل جيوش الدنيا لا تحول بين اللّه تعالى وقدره،
فاعلمي علم اليقين أنه لا يوجد في الحياة فرص ضائعة،
كل ما فاتكِ لم يُخلق لكِ!
وكل ما أخذته لم يكن باستطاعة أحد أن يمنعكِ إياه!
متى ما تحقق هذا في قلبكِ أَرحتِ واسترحتِ!
الشاب الذي تمنيتيه زوجاً فذهبَ إلى غيركِ،
قد كتبه اللّه تعالى لها قبل خلق السماوات والأرض
والوظيفة التي فاتتكِ لم تكن لكِ أصلاً،
المرض الذي أصابكِ لم يكن بالإمكان تفاديه،
والموتُ الذي نزل بحبيبٍ لكِ من ولد وزوج وأخ وأبوين،
لم يكن بإمكانكِ أن تفعلي شيئاً حياله!
وإلا فأريني كيف ستطيلين عمركِ إذا حانت لحظة وفاتكِ؟!
كل شيءٍ بقدر يا صحابية فاطمئني!
لو هربتِ من رزقكِ لتبعكِ يبحثُ عنكِ،
ونصيبكِ من كل شيء سيصيبكِ لا محالة!

فسلِّمي للّه بما شاء أن يمضيه،
فإنَّ الرضى على قدر اللّه من أعلى مراتب الإيمان!

يا صحابيَّة،
دينكِ هو عظمكِ ولحمكِ فلا تتركيه!
وكل ثمن تدفعينه مقابل الجنة هو ثمن بخس!
هذه سيدة مصر الأولى، وزوجة الملكِ،
كان يكفيها أن تشير بإصبعها فقط ليُجاب طلبها،
وكان يكفيها أن تأمر فتُطاع!
ولكنها نظرت بقلبها إلى الدنيا فوجدتها متاع زائل!
فاشترتْ ما عند اللّه لأنه خير وأبقى!
لا تبيعي دينكِ بدنياكِ يا بُنيَّة!
كل رغيف حرامٍ سيبعدكِ عن اللّه لا تأكلينه!
وكل حبيب سيبعدكِ عن اللّه لا يلزمكِ!
وكل مجلسٍ سيأكلُ حسناتكِ لا تجلسي فيه!
وكل صُحبةٍ تخجلين أن تفعلي أمامها طاعة اهجريها!
يموتُ المرءُ وحده، ويُدفن وحده!
ويُحاسبُ وحده، ويُبعثُ وحده!
فلا تستبدلي قرب اللّه الدائم بقرب الناس الفاني!

يا صحابيَّة،
من خانَ اللّه فلا تتوقعي منه الوفاء مع الناس،
فرعون حين صلبَ زوجته خان الود والعشرة،

ولكنه من قبل خانَ اللّه، وجحدَ في إحسانه!
اجعلي مقدار الناس في قلبكِ مقدار اللّهِ في قلوبهم!
قبل أن توافقي على من جاء يخطبكِ
سلي عن بره بأمه، وعلاقته بأخواته،
فالذي يؤذي المرأة التي حملت به، وأنجبته، وربته،
فلن يتورع عن أذيتكِ
لأنكِ مهما أحسنتِ إليه لن تحسني إليه إحسان أمه!
حدثتني جدتي رحمها اللّه قصة وأنا صغير،
ما زالت عالقة في ذهني لا أنساها ما عشتُ في هذه الدنيا
عن امرأةٍ تزوجتْ رجلاً لا تعرفه
فلما كانت صباحية عرسه ذهبَ إلى السوق ليشتري لحماً،
وعاد يحملُ نوعين من اللحوم، وقال لزوجته:
هذا لحم طيب، وغالي الثمن، سنأكله أنا وأنتِ
وهذا لحم رديء سنطعمه لأمي حين تزورنا،
فأرسلت المرأة في طلب والدها على الفور،
فلما جاءها قالت له: أريد أن أتطلق!
فلما سألها عن السبب، حدثته بالقصة
وقالتْ: لا أريدُ أولاداً من ابن عاق،
ولستُ آمنُ على نفسي معه وقد غدر بأمه!

يا صحابيَّة،
مهما كان زوجك، عاصياً فلن يكون كفرعون!
وأي عصيان بعد ادعاء الألوهية والربوبيَّة؟!

فلا تعلقي تفريطكِ بدينكِ بزوجكِ،
صحيح أن الزوج الصالح يعين على الاستقامة،
وأن الزوج الفاسد يُتعبُ الزوجة في دينها،
ولكن الأجر على قدر المشقة!
أعطيه حقوقه كاملة، وسلي الله حقكِ!
أما أن تفرطي بعباداتكِ لأنه فاسد،
فهذا ليس من العقل في شيء!
ستتحاسبين عن نفسكِ لا عنه!
وستدخلين قبركِ وحدكِ لا معه!
أحياناً يبتلينا الله بالزوج العاصي، والولد العاق،
ولكن هذا كله امتحان!
والله ناظر إليكِ ما أنتِ فاعلة بامتحانكِ هذا،
فلا ترسبي، فالجنة والنار لا تستحقُّ المخاطرة
لأجل أي أحد!
تأمليها جيداً: لأجل أي أحد!

ملكة من اليمن!

أنتِ أيضاً صحابيَّة
تُحبين قصص الملكات والأميرات اللواتي عشنَ في زمنٍ سحيق،
وعندما تعلمين أن هذه القصص قد وردتْ في القرآن الكريم
تزدادين شغفاً لسماعها،
لأنكِ تعرفين أنكِ على موعد مع الموعظة والمتعة،
وأنتِ اليوم على موعدٍ مع واحدة من أشهر الملكات في التاريخ،
إنها بلقيس ملكة سبأ!
وهي قصة رائعة فيها حكم كثيرة،
وفيها مغزى دقيق للملوك والعظماء،
وفيها بيان لسعة مُلك سليمان عليه السلام،
حيثُ امتد من بيت المقدس إلى أقاصي اليمن،
ودانت له الملوك والأمراء،
وقد اتخذ نبيٌّ الله سليمان عليه السلام الملك وسيلة للدعوة إلى دين الإسلام،
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
فلم يترك ملكًا كافرًا ظالما إلا ودعاه إلى الدخول في دين الله،
وعبادة الله تعالى وحده!
فمن لم يستجب لدعوته كان السيفُ هو الحكم الفصل!
وهكذا انتشـرَ دينُ الله في أقطار المعمورة وعمّ أرجاء الدنيا.
وتبدأ قصة سليمان عليه السلام مع مَلكة سبأ،
عندما اجتاز سليمان عليه السلام وادي النمل بجيشه

ثم كانوا في أرض جدباء لا ماء فيها،
فعطش الجيش فسألوه الماء!
وكانت وظيفة الهدهد في جيشه أنهم كانوا إذا أعوزوا الماء،
واحتاجوا إليه في القفار والصحارى في حال الأسفار،
أن يجيء الهدهد فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء،
وكان الهدهُد يدله على الماء بما خلق الله تعالى له من القُوة
التي أودعها فيه حيث كان ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض،
وكان يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاجة بمشيئة الله تعالى،
فكان الهدهدُ إذا دلّهم على الماء وقال: ها هنا الماء،
شقّقَت الشياطين الصخر وفجرّت العيون،
وأخرجوه واستعملوه لحاجتهم!
فعندما عطش جيشُ سليمان عليه السلام واحتاجوا إلى الماء،
تَفَقّدَ الطير فلم يره بينهم ولم يجده،
فأخذ يتهدده بالذبح أو التعذيب إلا إذا أتاه بعذر مقبول عن سبب تخلفه
يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾
ثم أقبل الهدهد إلى سليمان عليه السلام،
فلمّا سأله عن غيبته أخبره بأنه اطلع على ما لم يطلع عليه،
وأخبره بخبر يقين صادق وهو أنه كان في اليمن في مملكة سبأ،
وأنّ هناك ملكة على هذه البلاد تُدعى بلقيس،

قد ملكتْ تلك الأمة في اليمن،
وأوتيت من كل شيء يُعطاه الملوك ويؤتاه الناس،
ولها عرش عظيم مزخرفٌ بأنواع الزينة والجواهر ممّا يبهر العيون،
ثم ذكر لسليمان عليه السلام كفرهم بالله تعالى،
وعبادتهم الشمس والسجود لها من دون الله،

وإضلال الشيطان لهم وصدهم عن عبادة الله تعالى
﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن
سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ
وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن
دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ
لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾
فعند ذلك بعث سليمان عليه السلام معه كتابًا،
ليوصله إلى هذه الملكة ،
وكان هذا الكتاب يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله ورسوله،
والخضوع لملكه وسلطانه قال الله تعالى :
﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾
وحمل الهدهد كتاب سليمان عليه السلام
وجاء إلى قصر بلقيس فألقاه إليها وهي على سرير عرشها،
ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها،
وأخذت الملكة بلقيس الكتاب فقرأته،

ثم جمعت أمراءها ووزراءَها وأكابر دولتها إلى مشورتها،
ثم قالت: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾
ثم شاورتهم في أمرها وما قد حلّ بها
﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾
ففكرت بلقيس بالأمر مليًّا وبروية
ولم تتحمس كتحمسهم واندفاعهم
وكان رأيها أتمّ وأسدّ من رأيهم،
وعلمت أن صاحب هذا الكتاب قوي السلطان،
يغلب أعداءه ولا يخالف ولا يُخادع!
﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةًۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾
ثم عرضت بلقيس على رجال دولتها ووزرائها رأيًا،
وجدته أقرب إلى حلّ تلك القضية المستجدّة،
وهي أن ترسل إلى سليمان عليه السلام هدية تصانعُه بها،
وتستنزل مودّته بسببها،
وتُحمّل هذه الهدية لرجال دهاة من رجالها،
حتى ينظروا مدى قوة سليمان عليه السلام،
ثم بعد ذلك تقرر ما ستفعله في أمره،
على ضوء ما يأتيها من أخبار عن سليمان عليه السلام وقوته

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾
وأرسلت بلقيسُ رجالها بهدية تحتوي على الحليّ والجواهر،
فلما جاؤوا سليمان عليه السلام ووضعوا بين يديه هدية بلقيس لم يقبلها!
وأظهر لهم أنه ليس بحاجة إلى هديتهم!
وأن الله سبحانه وتعالى أنعم عليه بنعم كثيرة،
تفوق بكثير ما أنعم عليهم!
ثم توعّدهم وملكتهم بأن يرسل إلى بلادهم بجنود لا قدرة لهم على قتالهم ويخرجهم من بلادهم أذلة صاغرين!
﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾
لما رجعت رُسلُ بلقيس إليها أخبروها بخبر سليمان عليه السلام،
ووصفوا لها ما شاهدوه من عظمة مُلكِه، وكثرةِ جنده، وقوة بأسه،
وأخبروها بأنه رد الهدايا إليها ولم يرض بها،
وأنه مصممٌ على غزو بلادهم بجيش كبير، عرمرم لا قدرة لهم عليه!
ولما سمعت الملكة بلقيس أخبار رسلها عن سليمان عليه السلام، وعظيم ملكه،
أيقنت بِعِظَمِ سلطانه ومهابته وعدم طاقتها على مقاومته،
فبعثت إليه: إني قادمة إليك لأنظر ما تدعو إليه!
وسارت إلى سليمان عليه السلام بجيش كبير مع رجالها وجماعتها.

فلما علم سليمان عليه السلام بقدومها إليه،
شيّد لها قصرًا عظيمًا من زجاج،
وجعل في ممره ماء وجعل عليه سقفًا من زجاج،
وجعل فيه السمك وغيره من دواب الماء،
بحيث يخيل للناظر أنه في لجة من الماء،
وأراد سليمان عليه السلام أن يظهر لبلقيس من دلائل عظمته وسلطانه ما يبهرها
وأن ترى بعينها ما لم تره من قبل قط،
وهو أن يأتي بعرشها إلى قصره ليكون جلوسها عليه!
في ذلك الصرح العظيم دليلا باهرًا على نبوته لأنها خلفته في قصرها واحتاطت عليه
فأمر عليه السلام جنوده وخواصه أن يخبروه عن مخلوق قوي ليأتيه بعرش بلقيس
فتطوع عفريت قوي من الجن وأخبره أنه قادر على إحضار عرش بلقيس،
في مدة قصيرة لا تتجاوز نصف نهار!
يقول الله تبارك وتعالى إخبارًا عن سليمان عليه السلام:
﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾
وكان سليمان عليه السلام يجلس للقضاء بين الناس
من وقت الفجر إلى نصف النهار،

وكان عند سليمان عليه السلام رجل من أهل الإيمان،
مشهور بالتقوى أعطاه اللّه معرفة اسمه الأعظم،
﴿قَالَ الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾
أي قبل أن يرجع إليك بصرك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته
وكان الأمر كما قال،
وإذا بعرش بلقيس بعظمته وحليّه قائم وحاضر في القصر،
أمام نبي اللّه سليمان عليه السلام،
فلما رأى سليمان عليه السلام عرش بلقيس عنده في هذه المدة القريبة،
قال ما أخبر اللّه به عنه في هذه الآية في قوله
﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾
ثم أمر نبي اللّه سليمان عليه السلام أن يغير بعض معالم العرش ليمتحن بها قوة ملاحظتها وانتباهها
وليختبر فهمها وعقلها
﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾
وهذا من فطانتها وغزارة فهمها لأنها استبعدت أن يكون عرشها
لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن تحت حراسة شديدة
ولم تكن تعلم أن أحدًا يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾

والمعنى صدها عن عبادة الله تعالى وحده

عبادتها للشمس والقمر اتباعًا لدين آبائها

لأنها نشأت ولم تعرف إلا قومًا كافرين يعبدون الشمس من دون الله تعالى،

وكان سليمانُ عليه السلام قد أمرها بدخول القصر،

وكان جالسًا على سرير عرشه،

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ﴾

فلما رأت الدلائل الباهرة والخوارق العجيبة،

أعلنت إسلامها وتبرأت مما كانت عليه من كفر وضلال!

يا صحابيَّة،

في كل فئة من الناس طباع محدودة،

وسليمان عليه السلام كان نبياً ملكاً،

والمُلكُ لا يقوم إلا بالحزم!

وعدم التهاون في أداء الواجبات،

وهذا هو سبب توعد سليمان عليه السلام الهدهد بالذبح،

إن لم يأته بعذر مقبول يُبرر هذا الغياب،

عليكِ أن تعلمي أن لكل مجتمع أدبياته!

ولكل فئة من الناس أدوات تخاطبُ!
ما يُقال للملك، والرئيس، والوزير لا يقال لغيره!
وهذا لا يعني النفاق، أو الغش، أو التزيف،
وإنما يعني أدب مراعاة الحال، وهو من الذكاء!
فاعلمي حال الفئة التي تتعاملين معها،
وأتقنِي أدبيات مخاطبتها، وتعاملها،
الناس لا يُعاملون معاملة واحدة،
ولا يخاطبون خطاباً واحداً،
ولو عالجنا جميع المرضى بالدواء ذاته،
لماتوا جميعاً!

يا صحابيَّة،
إنَّ اللّه تعالى قد جعل كلاً منا على ثغر!
وألقى على كاهله مسؤولية ،
وهو سيحاسبه على حراسته لهذا الثغر،
وقيامه بتلك المسؤولية!
وها هو نبي اللّه سليمان يتفقد الطير،
هذا هو عمل الملك أن ينظر في أمور رعيته وملكه،
وأنتِ أيضاً مسؤولة عن ثغركِ، ومسؤوليتكِ،
أنتِ مسؤولة عن التربية التي تربينها لأولادكِ،
عن القيم التي تزوديها بهم،
وعن المبادئ التي تعلمينهم إياها،

أنتِ محاسبة عن طريقة أداء وظيفتكِ!
وعلى كل مكان كنتِ مسؤولة فيه عن شيء مهما كان صغيراً،
فإن قمتِ بواجبكِ كان لكِ الأجر،
وإن أخللتِ كان عليكِ الوزر!

يا صحابيَّة،
اتركي الباب موارباً لتقبل الأعذار،
لا تحكمي على قضية أو موقف قبل أن ينجلي أمامكِ،
ولا تتخذي موقفاً من غائب قبل أن تسمعي منه،
ألا تقول جداتنا في أمثالهنَّ: الغائب عذره معه!
كان سليمان عليه السلام يملك الإنس والجن والطير،
ورغم سلطته وملكه، ورغم انزعاجه من غياب الهدهد،
إلا أنه تركَ له الباب موارباً لعذرٍ لا يعلمه،
فجعل حكمه الذي أصدره، وعقوبته التي قضاها
مرتبطة بعذر مقنع ينجيه من كل هذا،
فلا تتسرعي يا صحابية، وأحسني الظن!
كثيرة هي المواقف التي أخذنا تجاهها ردات أفعال شديدة،
دون أن نسمع من صاحبها!
فلما انجلى الموقف، ندمنا على ما كان منا،
ساعة تريث أفضل من أيامٍ من الندم!
ومعالجة الصبر أفضل من معالجة الاعتذار،
ومن ملكَ زمام نفسه خرجَ من اللوم والندم!

يا صحابيَّة،
قالتْ العرب: من شاور الرجال فقط شاركها في عقولها!
والرجال هنا لفظ خاص أُريد به عام،
بمعنى أن كل إنسان نشاوره إنما نشاركه عقله وتجاربه،
وقد سطَّرتْ بلقيسُ موقفاً مشرفاً في مبدأ الأخذ بالشورى،
لقد جمعتْ قومها وطلبتْ رأيهم،
وهي الملكة التي أمرها نافذ، وقرارها مُطبَّق،
فإذا كنتِ على مشارف قرار حاسم في حياتكِ،
فالعقل يقتضي أن تشاوري من تثقين بهم،
رأيان أفضل من رأي، وعقلان أفضل من عقل!
ثمة شيء اسمه الخبرة لا نكتسبه إلا بمرور الأيام!
لهذا تجدين عند من خاضوا التجربة التي أنتِ بصدد خوضها أشياء تفيدكِ كثيراً!
لماذا عليكِ أن تبدئي من الصفر؟
كثير من المشكلات يمكن تلافيها لو كان عندنا الخبرة!
أو لو كان عندنا تصور مسبق عما سنواجهه!
فاستشيري، فهذا كان دأب الأنبياء والعظماء على مر التاريخ!

يا صحابيَّة،
لا تنبهري بالأشياء المادية،
ثمة أمور أهم من المال، والبيوت، والسيارات
الدين والأخلاق أهم بكثير!

تعلمي من الهُدهد كيف تنظرين إلى الأمور،
تعلمي منه كيف يكون لكِ مسطرة دينية تقيسين بها الحياة،
ملك بلقيس العظيم لم يفتن الهدهد
بل إنه نظر إليهم بعين الشفقة!
حين وجدهم يسجدون للشمس من دون اللّه،
عرف بفطرته أن الدين أولاً ثم الدنيا،
حقيقة وعاها هدهد وغابت عن كثير من الناس،
وما أكثر الذين يسافرون إلى الغرب فيرجعون مفتونين به
ينظرون إليه بعين الإجلال وإلى قومهم بعين الاستخفاف!
نعم إن للقوم مدنيّة متقدمة، وحياة مرفهة،
نعم إنَّ لديهم حرية تعبير، وحكومة تحترمهم،
وهذا بالأساس أصل في ديننا وإن كان ليس لدينا الكثير منه اليوم،
ولكن هل سأل هؤلاء عن دين القوم وحالهم مع ربهم؟!
كيف هي الأُسرة هناك؟
وكيف حال الأعراض والشرف؟
وأين يصير الأبوان عند كبرهما، في بيوت أولادهم أم في دور العجزة!
كوني سماوية في نظرتكِ، عُلوية في انبهارك!

يا صحابيَّة،
إذا بدا لكِ الحق فتواضعي وانزلي عنده!
رد الحق بعدما تبيّن من الكبر!

ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر!
كانت بلقيس ملكةً على مملكة عظيمة
وعندما رأتْ الحق والهداية عند سليمان عليه السلام
تبعته دونما حرجٍ!
قد تأخذين موقفاً حاداً من حدث ما،
وتحسبين إنكِ على صواب، وتتصرفين على هذا الأساس،
ولكن إذا بدا لكِ أنكِ مخطئة
وأن الحق عند الطرف الآخر فتواضعي!
طهري قلبكِ من أصغر ذرة من الكبر،
فإن الإصرار على الخطأ من صفات إبليس اللعين
فقد ركب رأسه بعدما تبين له الحق،
فكان رجيماً مطروداً من رحمة اللّٰه!
والاعتراف، والاعتذار، والتوبة من صفات أبيكِ آدم عليه السلام،
فعندما أخطأ سارع بالتوبة والاستغفار،
فكوني كأبيكِ، ولا تكوني تبعاً لإبليس!

حُب في بيت النبوة!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!

رقيقة القلب بالفطرة فهكذا هي قلوب النساء!

وقد زادكِ الإسلام رقةً فوق رقتكِ،

تُحبين قصص القلوب، والحب العفيف، والعشق الحلال،

وها أنتِ اليوم مع قصة من قصص الحُب الخالدة،

حُبٌّ صبرَ حتى ظفَرَ!

بطلة هذه القصة زينب ابنة النبي ﷺ وزوجها أبو العاص بن الربيع

لم تكن زينب ابنة النبيّ ﷺ

قد جاوزت العاشرة من عمرها حين تطلعت إليها عيون الهاشميِّين،

وتنافست بيوت مكة على الظفر بها عروسًا،

لمن يختاره أبواها من كرام الفتية القرشيِّين،

وكان الذي ظفر بها أبو العاص بن الربيع،

ابن خالتها هالة بنت خويلد، وهو من أشراف مكة!

وسط غبط من شباب قريش حين وافق النبي ﷺ على هذا الزواج،

وكان ذلك قبل مهبط الوحي على النبيّ ﷺ.

وعندما أشرقت الأرض بنور ربها وبعث النبي ﷺ

أعلنت قريش الحرب عليه، مستهدفة، من بين ما استهدفت

عاطفة الأبوة في قلبه، فقالت : ردوا عليه بناته!

ذهب عتبة بن أبي لهبٍ زوج أم كلثوم إلى النبي ﷺ قائلا:

كفرت بدينك وفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك!

ثم دنا من الرسول عليه السلام وشده من قميصه فمزقه،

أما أخوه عتيبة بن أبي لهب فقد طلق رقية عندما قالت له أمه:
طلق ابنة محمد ونزوجك أي امرأة من قريش شئت!
في ذلك الوقت كان ابن الربيع زوج زينب في رحلة تجارة بالشام،
وانتظرت زينب عودة زوجها الغائب مع تجارته لتخبره بإسلامها،
وعندما أبلغته رد غاضبًا : لن أؤمن بأبيك ولا برسالته،
ثم خرج من بيته لا يلوي على شيء،
حيث خاف على صورته أمام الناس أن يقولوا،
إنه هجر دين آبائه لإرضاء زوجته!
كان ابن الربيع مشوشا فيما يتعلق بدينه،
أما دنياه فقد أعلنها صريحة أمام سادة قريش:
لا واللّه لا أفارق صاحبتي ولا يعوضني عنها
أن لي أفضل امرأة في قريش!
وبعد أن هدأ قليلًا عاد إلى بيته فوجد ابنه وابنته أمامه
فحملهما على كتفيه واقترب من حبيبته زينب
وقال لها: لن ينال مما بيننا يا زينب أن تكوني على دينك وأثبت على ديني!
فقالتْ له: قليلاً يا صاحبي، لستُ حلاً لك، وأنت على ذلك الدين،
فأسلِمني إلى أبي أو أسلم معي!
لن تكون زينب لك بعد اليوم إلا أن تؤمن بما آمنت!
وهو ما حدث بالفعل حيث خاصمها ابن الربيع،
وزاد قلب النبي ﷺ شجناً حين جاءته ابنته زينب وطلبت منه أن تبقى مع أولادها،
لعل اللّه يهدي زوجها للإسلام،

فوافق النّبيُّ ﷺ، وقال لها: ابقي مع زوجك وأولادك!
ولم يكن وقتها قد نزل حكم التفريق بين المسلمة وزوجها الكافر
دقَّتْ طبول الحرب ...
وخرجت قريش في جيش مخيف لمواجهة المسلمين
واعتصر الألم قلب ابن الربيع وهو يودع ابنته وولده
وأكثر ما أحزنه هو خصومة زوجته وحبيبته زينب!
أغمض عينيه وتنهد في حسرة ثم ركب فرسه والتحق بمقدمة جيش قريش
وقفت السيدة زينب محتضنة ابنتها الصغيرة أمام باب دارها بمكة
تشاهد زوجها المُشرك متجها لمحاربة أبيها النبي،
احتضنت ابنتها وقالت لها:
لن تطلع علينا الشمس يا ابنتي في مثل يومنا هذا إلا وإحدانا يتيمة!
دخلتْ عليها عمتها عاتكة تخبرها،
بانتصار أبيها في بدر فسجدت شكرا لله
ثم سألت عمتها: وماذا فعل زوجي؟
أطرقت عاتكة رأسها في حزن حتى كاد قلب زينب ينفطر
وقالتْ : لم يقتل زوجك ولكن تم أسره!
ولم تكن عائلة أبو العاص ينقصها المال لتفتدي به ابنها الأسير،
لكن زينب اختارت أن تفك أسر زوجها بطريقتها.
جلس شقيق ابن العاص بين يدى النبي ﷺ قائلا:
بعثتني زينب بهذا فداء لزوجها
ثم أخرج صرة ووضعها بين يدى النبي ﷺ
فتح النبي ﷺ الصرة فوجد قلادة خديجة،

التي أهدتها لزينب في عرسها، فخفق قلبه وارتعش.
رأى النبي ﷺ أن ابنته بهذه القلادة
تذكره بالحب الذى كان بينه وبين خديجة!
حيث كانت تذكره بأن ابن العاص زوج وحبيب وابن خالة
كانت تُذكره بأنه ليس من طرف زينب فقط!
ولكن من طرف خديجة حبيبته أيضاً
فسالتْ دموع أصحاب النبي ﷺ من جلال الموقف وروعته
وصمت قبل أن يقول لأصحابه: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها
وتردوا عليها مالها فافعلوا!
أعطاه النبي ﷺ العقد،
ثم قال له: قل لزينب لا تفرطي في عقد خديجة
ثم قال له مجدداً: يا أبا العاص هل لك أن أساررك؟
ثم تنحى جانبا وقال له: يا أبا العاص، إن اللّه أمرني
أن أفرق بين مسلمة وكافر، فهلا رددت إلي ابنتي؟
فقال: نعم.
ثم استدار عائداً إلى مكة وهو لا يدري،
كيف سيتسع قلبه الصغير لأحزان في رحابة الأفق.
خرجتْ زينبُ تستقبلُ أبا العاص على أبواب مكة
لم تكن تدرك أن الحب الذى كَتب لزوجها حياة جديدة،
كان هو نفسه الثمن: عودي إلى أبيكِ يا زينب!
وكادت العبارة أن تخنقه
فما استطاع أن يتمالك نفسه!

وطلب من أخيه كنانة بن الربيع أن يصحبها إلى طرف البادية خارج مكة،

حيث ينتظر زيد بن حارثة ليصحبها إلى النّبي ﷺ.

ظلت زينب ترفض الخُطّاب لمدة ست سنوات!

على أمل أن يعود إليها زوجها، وحبيبها وأبو ولديها وابن خالتها

وفي ليلة، طرق بابها قبيل أذان الفجر

فسألته حين رأته بلهفة: أجئت مسلماً؟

قال: بل جئت هاربا!

سألته وبصيص أمل يلوح في الأفق: فهل لك أن تسلم؟

فرفضَ، فقالتْ بصوتٍ متحسر وحزين:

لا تخف مرحبا يا ابن الخالة، مرحبا بأبي علي وأمامة!

وحكى لها أبو العاص أنه كان يقود قافلة بتجارة قريش إلى الشام

وعند عودته التقته سرية من المسلمين فأصابوا كل من معهم

وهرب هو منهم وتسلل حتى وصل إلى خيمتها

لم يكن يدرك أن روحها ارتدت إليها وهي تراه يدخل عليها.

وبينما النبي ﷺ يؤم المسلمين في صلاة الفجر

وقبل أن ينهي صلاته سمع صوتا يقول: أيها الناس إني أجرت أبا العاص!

كان يعرف أنه صوت زينب، فقال للمصلين:

أما والذي نفس محمد بيده، ما علمت بشيء من ذلك، حتى سمعت ما سمعتم!

فقالت زينب: يا رسول الله إنّ أبا العاص إن بَعُدَ فابن الخالة،

وإنْ قَرُبَ فأبو الولد وقد أجرته يا رسول الله!

فقال النبي ﷺ: يا أيها الناس، إنّ هذا الرجل ما ذممته صهرًا،
وإنّ هذا الرجل حدثني فصدقني ووعدني فوفّى لي،
فإن قبلتم أن تردوا إليه ماله وأن تتركوه يعود إلى بلده،
فهذا أحب إلي!
وإنْ أبيتم فالأمر إليكم والحق لكم ولا ألومكم عليه!
فقال الناس: بل نعطه ماله يا رسول اللّه!
فقال النبي ﷺ: قد أجرنا من أجرتِ يا زينب!
ثم ذهب إليها عند بيتها، وقال لها:
يا زينب أكرمي مثواه فإنّه ابن خالتك
وإنّه أبو العيال، ولكن لا يقربنك، فإنّه لا يحل لك
فقالت: نعم يا رسول اللّه.
نظرت زينب إلى أبي العاص قائلة: فيم هذا العذاب؟
يا أبا العاص أهان عليك فراقنا. هل لك إلى أنْ تُسْلم وتبقى معنا؟
فقال: حتى يقضي اللّه فينا أمره!
فقالت: يرحمنا اللّه!
عاد أبو العاص ووقف يوزع أموال التجارة الرابحة على أصحابها
وبعد أن فرغ قال: يا معشر قريش،
هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟
فقالوا: لا، جزاك اللّه خيراً فقد وجدناك وفيّاً كريماً!
فنظر إليهم ورفع صوته قائلا: إذن فأنا أشهد أن لا إله إلا اللّه
وأن محمداً رسول اللّه
وعاد إلى المدينة ودخلها فجرًا وتوجه إلى النبي ﷺ

وقال: يا رسول اللّه أجرتني بالأمس،
واليوم جئت أقول أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه!
ثم أضاف بِرِقَّةٍ: يا رسول اللّه هل تأذن لي أنْ أراجع زينب؟
فأخذه النبي ﷺ وقال: تعال معي.
ووقف على بيت زينب وطرق الباب، وقال:
يا زينب إنّ ابن خالتك جاء لي اليوم يستأذنني أنْ يراجعك فهل تقبلين؟
فاحمر وجهها وابتسمت.
عاش أبو العاص مع زينب عاماً،
بعد أن زوّجه النبي صلى اللّه عليه إياها من جديد،
ثم ماتت زينب فبكاها أبو العاص بكاءً شديدًا
حتى رأى الناس رسول اللّه يمسح عليه ويهون عليه
فيقول له: واللّه يا رسول اللّه ما عدت أطيق الدنيا بغير زينب
فمات بعد عام من موتها!
يا صحابيَّة،
الحُب قدر، أما التمسك به خيار!
كان لكل واحدٍ منهما أسباب كثيرة ليتخلى ويفلتُ يده،
ولكنهما بقيا ممسكين حتى آخر رمق،
وحتى عندما أفلتا كان قلباهما ممسكين!
لم تملك قلبها ولكنها تملكُ دينها،
ورأتْ أنه أغلى ما تملك فجمعتْ الحبُ والإيمان معاً
وكان هو على غير دينها ولكن قلبه كله كان لها
حتى عندما ذهبَ زوجها لقتال أبيها،
كان قلبها نصفين تخشى فقد أبيها أو فقد زوجها

تمسكي بقلبكِ ولكن إياك أن تُفرطي بدينكِ!
كل حُب سيبعدكِ عن اللّه لا يلزمكِ
وكل حبيب لا يأخذكِ إلى اللّه اتركيه!
اعرفي الساعي إليكِ حلالاً واخبريه أن يطرق الباب
لا أن يأتي إليكِ من النوافذ
وكوني على ثقة أنكِ إذا وضعتِ دينكِ قبل قلبكِ
فسيأتيكِ اللّه بقلبكِ جاثياً عن قدميكِ!

يا صحابيَّة،
الحُب فضيلة تُشهرُ لا رذيلة تُستر!
وما على المرءِ من سبيل إن عشقَ حلالاً،
ودافع عن عشقه هذا حتى آخر رمق،
لم يُنكر النبيُّ ﷺ على ابنته حبها لزوجها،
رغم أن هذا الزوج كافر
ولم يكن وقتها قد فرضَ اللّه التفريق بين المسلمة والكافر،
لم ينكر عليها بقاءها معه ما دام جائزاً،
ولم ينكر عليها فداءها له بقلادة أمها،
ولم ينكر عليها إجارتها له،
لأنه يعرف أن الحب ما ثبت!
كان بإمكان زينب أن تتخذ زوجاً عند أول فراق،
فقد كثر خُطابها ولكنها أبتّ!
ست سنوات كانت كافية لتنسى، وتبدأ من جديد!
ولكن الحُبَّ لا يعملُ بهذه الطريقة

إنه يدخل القلب فيملكه، ويطال الجوارح فيحكمها
وكان أبو العاص زوجاً لجسد زينب وروحها،
لهذا عندما تفرقت الأجساد بقيت الروح ممسكة!

يا صحابيَّة،
لم تكن الجاهلية كلها جاهلية
كان فيها أخلاق حميدة، وقيم رائعة!
كان الرجل كافراً ولكنه لا يكذب!
يعبدُ الأصنام وإذا وعد وفى!
على الشرك ولكنه يحمي عرضه بروحه ودمه!
أعطى أبو العاص وعداً للنبي ﷺ أن يرد إليه زينب،
فكان على وعده، وعلى قدر كلمته،
فلا تستغربي إن وجدتِ أخلاقاً عند غير المتدين،
ولكن استغربي إذا لم تجدي أخلاقاً عند المتدين!
فهذا ما فهم الدين ولا تديَّن!
وإن الدين كله خُلق!

يا صحابيَّة،
لا تستهيني بقلوب الرجال،
فالحُبُّ حين يستولي على قلوبهم يأسرهم،
لم تكن زينب هي الوحيدة التي تمسَّكتْ بحبها،
أبو العاص بن الربيع تمسَّكَ أيضاً
ولم تكن زينب هي الوحيدة التي رفضتْ الزواج بعد الفراق،

أبو العاص بن الربيع رفض هذا أيضاً
رغم أن قريشاً عرضتْ عليه أن تُزوجه من أشرافها،
فقال: واللّهِ لا أبدلها بامرأةٍ من قريش
ست سنوات من الانفصال لم تجعله يبحث عن غيرها،
انشغلَ بتجارته عن قلبه،
كان يُسكته بالسفر، والترحال، والعمل
ولكنه حين عاد إليها أخيراً عاد إليها بقلبه كله
فارقها جسداً أما قلبه فكان لها!

ذكاء امرأة!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
تُعجبكِ أخبار النساء في كل عصرٍ،
وتأسركِ قصص النابغات منهنَّ،
تحرصين على الاستماع إليها متعةً، وفائدة،
لأنكِ تعرفين أن الحياة على سطح هذا الكوكب قصص مكررة،
وحدهم أبطال القصص يتبادلون الأدوار!
فما من حدثٍ يقع اليوم إلا ووقع في التاريخ مثله!
وما من موقف نحسبه جديداً إلا وكان قديماً ما يُشبهه!
والذي يطلع على ما وقع من الأحداث قديماً ،
تكون له الحكمة في التصرف مع الأحداث إذا وقعتْ معه،
وقد قالت العرب قديماً: العاقل من اتعظَ بغيره!
وها أنتِ الآن على موعدٍ مع قصة عذبة،
جاء في موطأ الإمام مالك عن القاسم بن محمد أنه قال:
ماتت امرأة لي، فأتاني محمد بن كعب القرظيّ يعزيني بها،
فقال: إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد،
وكانت له امرأة، وكان بها معجبًا, ولها محبًا،
فماتت!
فوجد عليها وجداً شديداً, ولقي عليها أسفًا،
حتى خلا في بيته، وغلّق على نفسه، واحتجب من الناس،
فلم يكن يدخل عليه أحد!
وإن امرأة سمعت به فجاءته،

فقالت: إن لي إليه حاجة أستفتيه فيها،
وليس يجزيني فيها إلا مشافهته،
فذهب الناسُ ولزمت بابه،
وقالت: ما لي منه بدٌّ
فقال له قائل: إن ها هنا امرأة أرادت أن تستفتيك،
وقالت: إن أردتُ إلا مشافهته
وقد ذهب الناس وهي لا تفارق الباب،
فقال: ائذنوا لها!
فدخلت عليه, فقالت : إني جئتك أستفتيك في أمر!
قال: وما هو؟
قالت: إني استعرتُ من جارةٍ لي حليًا،
فكنت ألبسه وأعيره زمانًا, ثم إنهم أرسلوا إلي فيه،
أفأؤديه إليهم؟!
فقال: نعم والله.
فقالت: إنه قد مكث عندي زمانًا،
فقال: ذلك أحق لردك إياه إليهم حين أعاروكيه زماناً
فقالت: يرحمك الله، أفتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك،
وهو أحق به منك؟!
فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها!

يا صحابيَّة،
قالتِ العربُ قديماً: لكل جواد كبوة!
وهي تعني بقولها هذا أنه ما من إنسان إلا ويقع منه!

في بعض الأحيان ما لا يقع منه عادة،
وإنكِ لتجدين الشخص الحليم يفقدُ أعصابه مرةً،
وتجدين الجواد الكريم يبخل في موقف،
وتجدين الشجاع المقدام يجبن في حادثة،
وتجدين التي تحل مشاكل الناس غارقة في مشكلة،
وتجدين التي عرفتيها ببابها المفتوح دوماً قد أُغلق هذه المرة،
نحن بشر، جبال ووديان، وطقوس ومناخات!
وإن الذي يكون في القمة قد تجدينه في الوادي،
والتي تعرفينها مشمسة على الدوام قد تجدينها غائمة مكفهرة،
الحياة قاسية على الجميع ولكننا نحاول،
والعدل يقتضي أن لا نشطب ماضي الشخص المشرق كله
بلحظة يخونه فيها نبله ويكون على غير ما اعتدناه أن يكون!
في قواعد الفقه: إذا كثر الماء لم يعد يحتمل الخبث،
البحر يبقى طاهراً ولو أُلقي فيه بعض نجاسة!
والنهر الجاري صالح للوضوء وإن أُلقي فيه ماء آسن!
والناس كذلك!
إن الذي يريد من الناس أن يكونوا ملائكة لم يعرف الناس
ولم يفهم هذه النفس البشرية أبداً!
والنبيل يعذرُ، ويقيلُ العثرة، ويتغاضى عن الزلة
فكوني نبيلة يا صحابية!

يا صحابيَّة،
لا تستهيني بنفسكِ فإنَّ لكِ عقلاً راجحاً، ورأياً صائباً

ولا تجعلي الذكوريين الذين ينتقصون من المرأة يؤثرون فيكِ!
في المواقف العظيمة، والأزمات، تصبحُ المرأة جيشاً كاملاً،
ويصبح رأيها هو الحل الوحيد والأمثل،
وتصبح توجيهاتها هي الخلاص المُنتظر!
رأى النبيُّ ﷺ في منامه أنه
يدخل هو وأصحابه مكة ويطوفون بالبيت
فلما أصبحَ أخبرَ الصحابةَ برؤياه،
ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، فرُؤيا الأنبياء حقٌّ،
والحنينُ إلى مكة قِبلتهم وموطنهم كان كالحسرةِ في قلوبِهم!
ومضى النبيُّ ﷺ إلى مكة في أربعةِ آلافٍ من أصحابه
وزوجته أم سلمة ...
ولما كانوا بالحُديبية، جرتّ المُفاوضات الشهيرة بين المُسلمين
ووُفود قُريش،
إلى أن جاءَ أخيراً سهيل بن عَمرو، وتم عقد صُلح الحُديبية،
وكان من شروطه أن تكون هناك هُدنة بين الطرفين مُدتها عشر سنوات،
وأن يرجعَ المُسلمون عامهم هذا عن مكة ويرجعوا إليها في العام القادم
وأن يردَّ المُسلمون من جاءهم مُسلماً من قُريش،
وأن لا ترُدَّ قُريش من جاءها مُرتداً من المسلمين،
وأن للعرب الخيار أن تدخلَ في حِلفِ المُسلمين أو في حِلفِ قُريش!
رأى الصحابةُ أن في هذا الصلح إجحافاً كبيراً،
وتملَّكتهم غضبة المؤمن الحق حين يغضب للّٰه ورسوله،

حتى أن عُمر بن الخطاب قال للنبيِّ ﷺ:
ألسنا على حق وعدونا على باطل؟
فقال له: بلى.
فقال عمر: فَلِمَ نُعطي الدنية في ديننا إذاً؟!
ولكن النبي ﷺ المُؤَيَّد بالوحي، والمُمتلئ ثقة بالله،
كان يعلمُ أن الحُديبية هي أول خطوة في طريق فتح مكة،
فنادى في الناس قائلاً: يا أيُّها الناس انحروا، واحلقوا!
أي أنَّ الله قبل منهم عمرتهم!
ولكن الصحابة لِحُبِّهِم لله، وعزةِ أنفسهم، ما قام منهم أحد!
فأعاد النبيُّ ﷺ قوله، فما قامَ منهم أحد!
فأعادَ قوله مرةً ثالثةً فما قامَ أحد!
فدخلَ النبيُّ ﷺ على أُم سلمة وقال لها:
يا أُم سلمة ما شأن الناس؟!
فقالت له: يا رسول الله قد دخلهم ما رأيتَ، فلا تُكلِّمَنَّ منهم إنساناً
واعمدْ إلى هديك فانحرْه، واحلِقْ، فلو فعلتَ ذلك، فعلوا مثلك!
فقامَ النبيُّ ﷺ فلم يُكلمْ أحداً
فنحرَ هديه، وحلقَ رأسه، فلما رأوه، قاموا فنحروا وحلقوا!
الشاهدُ في الأمرِ أن النبيَّ ﷺ وهو المُؤيد بالوحي
المحفوف بالتوفيق والعصمة، يستشيرُ زوجتَه في قضيةٍ سياسيةٍ
ودينيةٍ شائكةٍ تخصُّ
الأُمة بأسرها!
وعندما سمع نصيحتها عملَ بها!

ليس في الأمرِ انتقاصٌ للرجولة أن يستشيرَ الرجلُ زوجتَه في مشاكلِه ومشاغلِه، على
العكس تماماً،

بل هذا من الرجولة لأنه فعل سيد الرجال أولاً، كما أنه امتثالٌ للهَدْيِ النبوي.
والشاهد أيضاً، أن عند أم سلمة كان حل المعضلة!
وفي عقلها الراجح كان حماية الصحابة من مخالفة أمر النبيّ ﷺ،
فلا تجعلي أحداً يقنعكِ أنكِ هامش في الحياة،
وأن رأيكِ وعدمه سواء،
ولكن تذكري دوماً أن الأسلوب الحسن مطلوب،
والأدب لا يتنافى مع قول الحق، بل يكمله،
والناس لا يستمعون الحق من فظٍّ غليظ،
فكوني ليّنةً تكثر أغصانكِ،
وتذكري أن الإنسان اللين كالورد الذي ينمو في الصخر، يشقُّ طريقه دوماً!

يا صحابيَّة،
إن التربية بالقصة من أهم وسائل التربية على مر الزمان!
لما للقصة من أثر محبب إلى النفس فهي تجمع بين المتعة والفائدة،
فاحرصي دوماً على أن تقصي على أولادكِ القصص النافعة،
وإن في قصص القرآن ما يُغني عن غيره،
وإن في قصص السنة النبوية المطهرة ما يكفي،

ولا مانع من قصص التراث والحكمة ففيها كثير فوائد وعظات،
والحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أولى الناس بها!
وإن قصة واحدة قد تغني عن شرح الكثير!
لأنها تبتعدُ عن الوعظ المباشر الذي لا يحبه الناس،
وإذا علمتِ أن ثلث القرآن الكريم عبارة عن قصص،
تبيّنَ لكِ صواب ما أقوله لكِ!
فاللّه سبحانه وتعالى حين أراد ان يعلمنا العفّة،
قصَّ علينا قصة يوسف عليه السلام مع زليخة!
وحين أراد أن يعلمنا التواضع،
حكى لنا عن حال يوسف عليه السلام وهو على كرسي الملك!
وحين أراد أن يعلمنا الصفح والعفو
حدثنا عن صفح يوسف عليه السلام وعفوه عن إخوته!
قصة يوسف وحدها مدرسة!
وحين أراد الإسلام العظيم أن يحدثنا عن الثبات،
قصَّ علينا قصة السحرة مع فرعون!
وقصَّ علينا قصة أصحاب الأخدود!
وقصَّ علينا قصة ماشطة ابنة فرعون!
وحين أراد أن يحدثنا عن جحود النعمة،
قصَّ علينا قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف!
وحين أراد أن يعلمنا الرضى عن أقدار اللّه لأنها كلها خير،
حدثنا عن قصة موسى عليه السلام مع الخضر!
فرأينا أن الخير كان في أن تُثقب السفينة،
وحفظ الدين كان لا بدّ معه من قتل الغلام،

والوفاء للرجل الصالح في أولاده كان لا بدّ معه من إقامة الجدار!
وحين أراد أن يُحذرنا من مراوغة يهود،
قص علينا قصة البقرة!
وحين أراد أن يعلمنا أن التوحيد منجاة،
قصَّ علينا قصة يونس عليه السَّلام،
وحين أراد أن يعلمنا عاقبة البخل،
حدثنا عن أصحاب الجنة الذين أقسموا ليصرمنها مصبحين،
وحين أراد أن يعلمنا عاقبة الاغترار بالمال،
قصَّ علينا قصة قارون!
وحين أراد أن يخبرنا عن قدرة اللّه في إحياء الموتى،
حدثنا عن قصة إبراهيم عليه السلام والطير!
وعن قصة عُزير مع حماره!
وحين أراد أن يُعلمنا أن اللّه لا يتخلى عن عبادة المؤمنين
حتى في أشد اللحظات
حدثنا عن قصة إبراهيم عليه السلام في النار
وعن موسى عليه السلام في البحر،
وعن نوح عليه السلام مع السفينة،
وحين أراد أن يحذرنا من عاقبة الحسد،
قصَّ علينا قصة قابيل وهابيل!
وحين أراد أن يخبرنا بعاقبة الطغاة
قصَّ علينا نهاية فرعون والنمرود!
وحين أراد أن يخبرنا عن العقوق
حدثنا عن ابن نوحٍ عليه السلام!

وحين أراد أن يلفت نظرنا أن البيوت قد لا تكون متوافقة

حدثنا عن آسيا زوجة فرعون!

وعن زوجتي نوحٍ ولوطٍ عليهما السلام

إنَّ هذا القرآن العظيم منهاج حياة،

فاحرصي أن تسقي أولادكِ منه!

حوار زوجي!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
تعرفين أن بيوت الناس تتشابه دوماً،
وأن الناس هم الناس في كل الأزمنة والعصور،
وأن الإيمان لا يُلغي الطبائع وإنما يُرققها،
ولا يُلغي الغرائز وإنما يُهذبها!
لهذا تُحبين أن تدخلي بيوت الصحابة لتتعلمي منهم،
ما يمكن لكِ أن تطبقيه في بيتكِ!
وتُعجبكِ أحاديث الأزواج التي تصلك،
لأنها نافذة نادرة على حياة هؤلاء الصفوة،
وها أنتِ اليوم تدخلين بيتاً من بيوت الإيمان،
وتسمعين حواراً لعله دار في كل بيتٍ في هذا الكوكب!
قالتْ أم سلمة يوماً لأبي سلمة:
بلغني أنه ما من امرأةٍ يموتُ زوجها وهو من أهل الجنة،
ثم لم تتزوج بعده!
إلا جمع اللّٰه بينهما في الجنة،
فتعال نتعاهد ألاَّ تتزوج بعدي ولا أتزوج بعدكَ!
فقال لها أبو سلمة: أتطيعيني؟
فقالت له: نعم!
فقال: إذا متُّ فتزوجي!
اللهمَّ زوِّج أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يحزنها، ولا يؤذيها!
فلما مات أبو سلمة، قالت أم سلمة في نفسها:

من خيرٌ من أبي سلمة؟!
ولما انقضتْ عدَّتها خطبها النبيُّ ﷺ
فأرسلت إليه: مرحباً برسول الله ﷺ
ولكني امرأة شديدة الغيرة، وإني ذات أولادٍ صغار،
وليس أحدٌ من أوليائي شاهد!
فبعثَ إليها النبيُّ ﷺ يقول: أمَّا أنكِ شديدة الغيرة،
فسأدعو الله أن يُذهبَ غيرتكِ،
وأما صبيانكِ فسيكفيكِ الله أمرهم،
وأما الأولياء فليس أحد منهم إلا سيرضى بي!
وهكذا لم تتزوج أم سلمة من هو خير من أبي سلمة فحسب
وإنما تزوجتْ من هو خيرٌ من الناس كلهم!

يا صحابيّة،
الحيُّ أبقى من الميت!
وزواج المرأة بعد زوجها، أو زواج الرجل بعد زوجته،
مسألة شخصية يُقدرها كل واحد منهما بحسب حاجاته وظروفه،
فليست المرأة التي تتزوج بعد زوجها قليلة الوفاء،
ولا الرجل الذي يتزوج بعد زوجته باحث عن المتعة والنساء!
هذه سُنة الحياة!
وهكذا كان الناس قبلنا، وهكذا سيستمرون بعدنا،
وليس في الحلال شيءٌ معيب،
والشرع قبل العادات!
والله لا يُشرِّعُ أمراً مخجلاً، ولكن الناس يُضيِّقون على الناس!
يا صحابيّة،

من أرادت أن تعيش على ذكرى زوجها
وتربي أولادها فهذا شأنها!
ومن أرادتْ أن تتزوج فهذا شأنها أيضاً!
وليس لأحدٍ من أهلها أو أهل زوجها أن يمنعها
بحجة عدم الوفاء لزوجها الميت!
نحن بشر من لحم ودم،
ولكل إنسان منا حاجات جسدية، وروحية
تتطلبُ الإشباع لتكون الحياة سوية
فلا تُحرّموا ما أحلَّ اللّه خجلاً من كلام الناس!
والذي أراد أن يتزوج بعد وفاة زوجته فهذا هو الحلال بعينه
ومن أراد أن لا يتزوج فهذا شأنه وقراره
ثم من قال أن الوفاء والزواج بعد وفاة شريك العمر يتعارضان
ما في القلب يبقى في القلب!
ولا أحد ينسى شخصاً أحبّه ولو تزوج ألفاً غيره
الوفاء إنما يكون في حالة الحياة،
أما بعد الموت فالزواج ليس خيانة!
وعدم الزواج ليس وفاءً إنه العيش على الذكرى فقط
ثم ما يدري المرء ما يُخبىء اللّه له،
قد يكون في الزواج الثاني كل الخير
وقد يأتي من يُنسي الفاقد فقده!
يُرسلُ اللّه تعالى بعض الناس عوضًا
وعزاءً عن بعض !

يا صحابية،
لستُ أُنكِرُ على المُحِبِّ أن لا يتزوج بعد حبيبه
وإن عدَّ هذا وفاءً فهذه قناعته وقراره!
وأنا أحترم القناعات والقرارات ما دامت لا تتعارض مع شرع اللّه
ولكني ضد فكرة أن ندفن الحيَّ بعد أن دفنا الميت!
ولكن من أدب الزواج بعد موت المحبوب
أن لا يُذكر هذا المحبوب أمام شريك العمر الجديد!
لأن هذا يُؤذي الحيَّ ولا ينفعُ الميت
وقد كرهت العربُ الزواج من الحنَّانة،
والحنَّانة هي الأرملة أو المطلقة التي تُكثر من ذكر زوجها السابق،
ومن طريف ما يُروى من أمثال العرب في هذا السياق
قولهم: لا عِطْرَ بعد عروس
وأول من قال ذلك امرأة من بني عذرة
يقال لها أسماء بنت عبد اللّه
وكان لها زوج من بني عمها يقال له عروس فمات عنها
فتزوجها رجل من غير قومها يقال له نوفل
وكان أعسر أبخر بخيلاً دميماً،
فلما أراد أن يرتحل بها إلى قومه،
قالت له: لو أذنت لي فرثيتُ ابن عمي وبكيت عند قبره!
فقال: قد أذنتُ!
فقالت: أبكيك يا عروس الأعراس!
يا ثعلبا في أهله، وأسداً البأس، مع أشياء ليس يعلمها الناس!
قال: وما تلك الأشياء؟

قالت: كان عن الهمة غير نعاس ، ويعمل السيف صبيحات الباس!

ثم قالت: يا عروس الأغر الأزهر الطيب الخيم الكريم المخبر

مع أشياء له لا تذكر!

قال: وما تلك الأشياء؟

قالت: كان عيوفا للخنا والمنكر

طيب النكهة غير أبخر، والأبخر هو كريه رائحة الفم

أيسر غير أعسر، أي غني غير فقير،

فعرف الزوج أنها تعرض به،

فلما رحل بها قال : ضمي إليك عطركِ!

وقد نظر إلى قارورة عطرها قد سقطتْ منها

فقالت: لا عطر بعد عروس!

قُمْ ادْفِنْ الصَّبيَّ!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
تتمين بقلبكِ وروحكِ إلى الرَّعيل الأول الصادق،
وتحاولين قدر الإمكان أن تجعلي حياتكِ تُشبه حياتهم،
لأنكِ تعرفين أن التشبه بالكرام فلاحُ!
لهذا تحرصين أن تعرفي عن حياتهم الكثير،
فربما مرَّ في حياتكِ موقف مشابه،
أو ربما مرَّ هذا الموقف مع غيرك،
فكنتِ فيه الناصح الأمين، والمُعزي المواسي،
وها أنتِ اليوم مع حادثة من حوادث الفقد،
فطالما كان الموت هو أبرز الزائرين!
وما من بيتٍ إلا وكان قد عرفه،
كان لأبي طلحة الأنصاري ولدٌ قد مرضَ مرضاً شديداً
فخرجَ أبو طلحة من بيته إلى بستانه،
ثم إلى المسجد،
وفي هذه الأثناء ماتَ الصبيُّ!
فقامتْ أم سُليم إليه، فغسَّلته وكفَّنته،
وتركته في فراشه كأنه نائم!
فلما عاد أبو طلحة سأل زوجته أم سليم: ما فعلَ ابني؟
فقالت له: هو أسكنُ ما كان!
ثم قرَّبتْ إليه طعام فأكل
ثم أراد منها ما يريدُ الرجل من زوجته، فأجابته!

فلما فرغا، قالتْ له: قُمْ ادفِنْ الصبيِّ!
فلما كان الصباح جاء أبو طلحة إلى النبيِّ ﷺ
وأخبره بالذي كان من زوجته أم سُليم
فقال له النبيُّ ﷺ: أعرستم الليلة؟
فقال أبو طلحة: نعم
فقال: اللهمَّ بارك لهما!
فولدتْ أم سُليم من بركة تلك الليلة بعد تسعة أشهر غلاماً
ببركة ودعاء النبيِّ ﷺ.
فقالتْ له أم سُليم بعد أن وضعته:
احفظه حتى تأتيَ به النبيَّ ﷺ
وأرسلتْ معه بعض تمراتٍ ليُحنكه بها
فيكون أول شيءٍ يدخل جوف الغلام ريق النبيِّ ﷺ!
فأخذ النبيُّ ﷺ الغلام
ثم قال لأبي طلحة: أمعكَ شيءٌ؟
فقال أبو طلحة: تمرات
فأخذها النبيُّ ﷺ، ثم مضغها بفمه الشريف
ثم حنَّكَ بها المولود، وأسماه عبد الله!

يا صحابيَّة،
لا تتسرعي وتقولي: يا لأم سليم من فاقدة للأمومة!
كيف تفعلُ كل هذا وابنها في أكفانه؟!
ثقي تماماً أن قلبها كان يعتصرُ ألماً
وأن خاطرها كان مكسوراً ككل أم فاقدة،

ولكن الإيمان حين يتملك من الناس يجعلهم بشراً آخرين!
وأم سُليم جبل من الإيمان، وجلمود من الصبر،
كانت تعرفُ أن الصبر أول الجزع،
وأنها لو استقبلت زوجها بالنواح فلن يرجع ابنها!
وما على زوجة من سبيل إن أحسنت عزاء زوجها!
الأخبار السيئة يمكن أن تنتظر،
والحي أبقى من الميت!
وبعض البشر يهبهم الله حكمة التبصر في الأمور،
أعرفُ رجلاً كان مع أبيه في المستشفى،
وكان الوقت رمضان من ذاك العام،
وتوفي الوالد عند أذان العصر!
فلم يخبر أهله بذلك، وكتم الخبر عنهم،
وكانوا إذا اتصلوا به يسألونه عن أبيه،
قال: الحمد لله، لا يتألم أبداً!
وبعد المغرب بنصف ساعة هاتفهم وأخبرهم بموته،
بعد أن انتهى العزاء لاموه على هذا!
فقال لهم: قلتُ في نفسي لو أخبرتكم في وقتها،
سيدخل الحزن إلى قلوبكم!
وأنتم صائمون فلم أرد أن أخبركم قبل أن تفطروا!
فإذا كان هذا فقه رجل يعيش بيننا،
فكيف بفقه أم سُليم وهي ترى النبيَّ ﷺ،
وتُعاصر نزول الوحي!

يا صحابيّة،
أرسلتْ زينبُ ابنة النبيِّ ﷺ تطلبُ حضوره عندها!
لأنَّ ابنها الصغير يحتضر،
فأرسلَ إليها يقول: إنَّ للّهِ ما أخذ، وله ما أعطى!
وكلٌّ عنده بأجل مسمى، فلتصبري ولتحتسبي.!
فأرسلتْ إليه مجدداً تُقسِمُ عليه أن يأتيَها!
فقامَ ومعه جماعة من أصحابه،
فجِيء له بالصبيِّ، وأنفاسه تتقطع، ففاضتْ عيناه بالبُكاء!
فقال له سعد بن عُبادة: يا رسول اللّهِ ما هذا؟
فقال له: هذه رحمة جعلَها اللّه في قلوبِ عباده
إنما يرحمُ الله من عباده الرُّحماء!
الأبُ من بعد اللّهِ سند
والفتاةُ لا تستغني عن أبيها ولو صار لها زوج وأولاد
للأب نكهة أخرى ليستْ في أحد!
إن البنت الصغيرة التي عندها صوت أبيها في البيت،
أكثر أمناً من كل أقفال العالم!
وهي لا تستغني عن هذا الأمان حين تكبر،
وطلبُ المرأة السند والدعم من الأهل فطرة بشرية!
على أن كل هذا يجب أن يسبقه الرضى عن قدر اللّه،
والتأدب معه إذا أمضى قدره!
أما التسخط فلا يُرجعُ ميتاً، ولا يردُّ مدفوناً،
ولكنه قد يذهبُ بالدِّين!

يا صحابيّة،
البكاءُ عند الفقدِ لا يتعارض مع الرضى بقدرِ اللّٰه تعالى،
على العكس تماماً فالمُؤمن عذبُ النفسِ،
رقيقُ القلبِ، طيِّبُ المشاعرِ،
ومن الطبيعي أن يبكي إذا ما فقدَ عزيزاً!
وها هو النبيُّ ﷺ بكى،
لما رأى من احتضارِ ابن ابنته وهو سيد الرجال،
وسيد الراضين بقدرِ اللّٰه،
فلا تنظري إلى البكاء على أنه ضعف،
البكاء مريح للنفس عند المصائب!
بعكس الكتمان الذي يخنقُ النفس،
ويكبتُ على الروح!
وروى المُحدِّث والفقيه أبو بكر بن عياش، قال:
كنتُ وأنا شاب إذا أصابتني مُصيبة تصبَّرتُ لها،
ورددتُ البكاء عن نفسي، فكان ذلك يُوجعُني ويزيدُني ألماً،
حتى رأيتُ يوماً أعرابياً واقفاً وقد اجتمع الناس حوله يُنشِد:
خليليَّ عوجا من صدور الرَّواحلِ
بجمهور حُزوى وابكيا في المنازلِ

لعلَّ انحدارَ الدَّمعِ يُعْقِبُ راحةً
من الوجدِ أو يشفي نجيَّ البلابل

فسألتُ عنه فقيل: هذا هو الشاعر ذو الرمة.
فأصابتني بعد ذلك مصائب،
فكنتُ أبكي منها فأجدُ راحة!
وأقول في نفسي: سُبحان اللّه، ما أبصر هذا الأعرابي وما أعلمه!
على أن بكاء العين والقلب ممتلئ رضىً وتسليماً شيء
والنواح، ورفع الصوت، وشق الثياب وشد الشعر شيء آخر،
فهذا وجه من وجوه السَّخط على قدر اللّه!

يا صحابيَّة،
عن عبد اللّه بن أبي سليط رضي اللّه عنه قال:
رأيت أبا أحمد بن جحش يحمل تابوت زينب بنت جحش،
وهو مكفوف وهو يبكي،
فأسمع عمر رضي اللّه عنه وهو يقول:
يا أبا أحمد تنحّ عن التابوت لا يعنك الناس، وازدحموا على تابوتها،
فقال أبو أحمد: يا عمر هذه التي نلنا بها كل خير!
وإن هذا يبرد حر ما أجد!
فقال عمر: الزم، الزم!

يا صحابيّة،
ولما أتى عبد اللّه ابن مسعود خبر وفاة أخيه عتبة
بكى ...
فقيل له: أتبكي؟
قال: كان أخي في النسب، وصاحبي مع رسول اللّه ﷺ

وما أحب مع ذلك أن كنت مت قبل أن يموت،
فأحتسبه أحبّ إليّ من أن أموت فيحتسبني.
إن هذه رحمة جعلها اللّه لا يملكها ابن آدم!

يا صحابيّة،
قيل لأبي ذر : إنك امرؤ لا يبقى لك ولد!
فقال : الحمد للّه الذى يأخذهم
من دار الفناء،
ويدَّخرهم فى دار البقاء!
وقد أمر أبو بكر الناس بالصبر على فقد الأقارب
فقال : ليس مع العزاء مصيبة،
وليس مع الجزع فائدة،
الموت أهون ما قبله وأشد ما بعده،
اذكروا فقد رسول اللّه ﷺ تصغر مصيبتكم،
وقد أمر علي بن أبي طالب الأشعث بن قيس
بالصبر على فقد ابنه فقال:
إن تحزن فقد استحقت منك الرحم،
وإن تصبر ففي اللّه خلف من ابنك!
إنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور!
وإن جزعت جرى عليك وأنت مأثوم!

رزق خفي!

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
تعرفين أنه لا يضيع عند الله معروف نصنعه للناس،
تؤمنين أن كل درهم تخرجينه صدقة يعود إليك أضعافه،
وكل خاطر تجبرينه يعود عليك جبراً مثله وأكثر،
وكل دمعةٍ تمسحينها ترتدُ عليك فرحاً وبلسماً،
ولكن رغم إيمانكِ العميق بهذا إلا إنكِ
تحبين أن تسمعي قصصاً في هذا الشأن،
لا من باب الشك بل من باب زيادة اليقين!
ومن قبلُ سأل إبراهيمُ عليه السلام ربه أن يريه كيف يُحيي الموتى،
وما كان عنده ذرة شك وإنما ليطمئن قلبه!
كان في عهد النبيِّ ﷺ أخوان
أحدهما له مهنة يتكسَّبُ منها،
والآخر لا مهنة له،
يحضرُ مجلسَ النبيِّ ﷺ ويأخذ منه الحديث والقرآن!
وكان الذي له مهنة يُنفقُ على نفسه وعلى أخيه
ثمَّ إن صاحبَ المهنة أتى النبيَّ ﷺ يشكو إليه أخاه!
فقال له النبيُّ ﷺ: لعلَّكَ تُرزقُ به!

يا صحابيّة،
النَّاسُ هم النَّاسُ في كل عصر

أكثر ما يشغلهم الرِّزقُ والمالُ وتحصيلُ المعيشة
فطرة اللّه التي فطرَ عليها الناس!
على أنَّ جمع المال ليس عيباً، والغِنى ليس سُبةً،
ونِعمَ المال الحلال في يد العبد الصالح،
المهم أن تملكي أنتِ المالَ لا أن يملككِ،
وأن يكون لكِ خادماً لا سيداً
وأن تضعيه تحت قدميك ليرفعكِ لا فوق رأسك ليخفضكِ!

يا صحابيّة،
الحديثُ ليس تشجيعاً على البطالة،
وعلى أن يكون الإنسان عالة على غيره،
على العكس تماماً إن الأحاديث التي تحثُّ على العمل والاجتهاد،
وتُثني على من يأكل عمل يديه كثيرة،
ولكن مثل هذه الأحاديث إنما تُقال للأخ الذي لم يكُن له عمل،
ولا تُقال للأخ صاحب المهنة لأن فيها تحريضاً له على ترك أخيه،
ما يُقال للمُنفق ما قاله النبيُّ ﷺ: لعلَّكَ تُرزقُ به!

يا صحابيّة،
العمل سبب للرزق، ولكن الرَّازق هو اللّه!
وما أدراكِ أن اللّه قد فتحَ لكِ باب الرِّزق في عملكِ وتجارتكِ،
لا بسبب جدك واجتهادك،

وإنما بسبب أبوين تُنفِقين عليهما،
وابنٍ ذي عاهةٍ لا تتأففين منه،
وفقيرٍ خصصتِ له مبلغاً شهرياً، ومريضٍ تكفلتِ بدوائه الدائم!
ما أدراك أنَّ اللّه قد جعلكِ باباً وسبباً يرزقُ به عبداً من عباده،
وأنتِ تُرزقين لتُعطي، يريدُ اللّه أن لا يقطع عنكَ الخير لتجـودي به، وتمرريه لغيـرك!
أنتِ أضعف من أن ترزقي نفسكِ،
ومن باب أولى أشدُّ ضعفاً من أن ترزقي غيركِ،
وأنه سبحانه حين جعلكِ سـبباً في رزق غيركِ فقد تكرَّمَ عليكِ واصطفاكِ لهذا العمل،
فهو قادر أن يرزقه ويُغنيه عنكِ،
فما حرمه الرزق المباشر الذي يقع في يده عن فقرٍ منه سبحانه،
ولكنه جعل الناس لنا أبواباً إلى الجنة فلا تُغلقي باباً فتحـه اللّه لـكِ!
لعلكِ إن أغلقته أحوجكِ إلى غيركِ كما أحوجَ غيركِ إليكَ أولاً!
فأعطي واحمدي ربَّكِ أن جعلكِ أمَتَه المُعطية لا أمَتَه الآخذة!

يا صحابيَّة،
كان عبد اللّه بن جعفر من أكثر الناس صدقةً،
يُعطي الفقراء بشكلٍ جعلَ حتى أقرب المقربين منه يلومونه،
ويقولون له: أعطِ أقلَّ من هذا!
فقال لهم: لقد عوَّدَني اللّهُ عادةً، وعوَّدتُ عبادَه عادةً

فأخشى إن غيَّرتُ عادتي أن يُغيِّرَ اللّٰه عادته!
فهمٌ دقيقٌ وعميقٌ لقول النبي ﷺ: لعلكَ تُرزقُ به!

يا صحابيَّة،
إن من قصص الصَّدقة التي نُقلتْ إلينا ما يُصيبنا بالذّهول،
وإن من عوض اللّٰه على المُتصدّق ما يُثيرُ العَجب!
روى ابن الجوزيّ عن ابن أبي حازم عن أبيه قال:
أمست عائشة رضي اللّٰه عنها صائمةً وليسَ عندها إلا رغيفان،
فجاء سائلٌ فأمرتْ له برغيف،
ثم جاء آخر فأمرتْ له بالرغيف الآخر،
فأبتْ مولاتها أنْ تدفعُه إليه!
فطرحته إليه عائشة من تحت الستر!
فقالت لها مولاتها: انظري على ما تفطرين؟
فلما أمست عائشة إذا ضاربٌ يضرب الباب
فقالت: من هذا؟
قال: رسول آل فلان!
قالت عائشة: إن كان مملوكًا فأدخليه فإذا هو يحمل شاة مشـوية عليها خبـز،
فقالت لها عائشة: اعتدي كم ها هنا خبز خيرٌ من رغيفك،
فلا واللّٰه ما كانوا أهدوا إليَّ قبلَها شيئًا!
هكذا عوض اللّٰه إذا حلَّ أنساكِ ما أعطيتِ!
وجاءكِ زخّاً كثيراً كمن أعطى شربة ماءٍ فانهمرَ عليه المطر!

يا صحابيّة،
جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك يشكو إليه
قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين!
وقد عالجها بأنواع العلاج كله،
ولم يترك طبيباً يرجو عنده دواءً إلا قصده،
ولكن دون نتيجة!
فقال له ابن المبارك: اذهب فاحفر بئرًا في مكان حاجة إلى الماء،
فإني أرجو أن ينبع هناكَ عين ويمسك عنكَ الدم،
ففعلَ الرجل فبرأ!
هذا كان فهمهم للصدقة، ليست بركةً فقط،
وإنما دواءً يصفه صحيحهم لمريضهم!
وروى البيهقي في شعب الإيمان قصةً قريبةً من هذه قال:
قُرِحَ شيخنا الحاكم أبي عبد الله قرحةً في وجهه،
وعالجها بأنواع المعالجة فلم تبرأ،
وبقيتْ فيه قريباً من سنة!
فسأل أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة،
فدعا له، وأكثر الناس قاموا بالتأمين وراءه،
فلما كان من الجمعة الأخرى ألقت امرأة رقعة في المجلس،
بأنها عادت إلى بيتها، واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة
فرأت في منامها رسول الله ﷺ وقال لها:
قولوا لأبي عبد الله يوسع الماء على المسلمين

فجئتُ بالرقعة إلى الحاكم أبي عبد اللّه،
فأمر بسقاية الماء فيها،
وطرح الثلج في الماء ليقي الناس الحر،
وأخذ الناس الماء، وشربوا وانتفعوا به
فما مرَ عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء
وزالت تلك القروح، وعاد وجهه إلى أحسن ما كان،
وعاش بعد ذلك سنين!

يا صحابيّة،
قال منصور بن عمار: لما قدمتُ مصر كانوا في قحطٍ،
فلما صلَّوا الجمعة ضجُّوا بالبكاء والدُّعاء،
فحضَرتني نية، فصرت وسط المسجد وقلتُ:
يا قوم تقرَّبوا إلى اللّه بالصدقة فما تُقرب بمثلها،
ثم رميت بكسائي وقلت: هذا ما معي فتصدَّقوا أنتم!
فأقبلوا على الصدقة حتى جعلت المرأةُ تُلقي حُليّها حتى فاض الكساءُ
ثم هطلت السَّماء وخرجوا في الطين،
ورحتُ أنا إلى الإسكندرية، فبينما أنا أطُوفُ على حصنها إذا رجل يرمقني،
قلت: مَا لكَ؟
قال: أنت المتكلمُ يومَ الجمعة؟
قلت: نعم!
قال: صرتَ فتنةً للناس، قالوا: لقد دعا فأجيب له!

قلت: بل أنا العبد الخاطئُ، ما زدتُ على أن حثثتكم على الصدقة!
فانظري يا صحابية كيف أن عطاء اللّه مخبوء تحت عطاء الإنسان،
ومتى ما رفع الإنسان الغطاء عن عطائه وأعطى
ردَّ اللّه تعالى إليه عطاءه مضاعفاً!

يا صحابيّة،
كان محمد بن وضاح في جلسة فقهٍ وحديث يُعلم الناس،
فدخل عليه رجل فقال: انفلتَ الآن المحراث عن الثور فأصابَ ابنكَ!
فلم يكترث لذلك وجعل يُقّبَلُ على ما كان عليه من إمساك كتابه،
وأمر القارئ أن يتمادى في قراءته،
فلم يلبث أن دخل عليه رجل آخر فقال:
أبشر يا أبا عبد اللّه سلم الصبي والحمد للّه،
إنما أصابَ المحراث ثوبه ولم يتضرر!
فقال: الحمد للّه، قد أيقنتُ بذلك!
لأني قد رأيت اليوم الصبي قد ناول مسكينًا كسرةً،
فعلمت أنه لا يصيبه بلاء في هذا النهار!
للحديث الذي أتى «إنَّ اللّه ليدفعُ عن العبد الميتةَ السُّـوء بالصَّدقة يتصدَّق بهـا»
هكذا كان يقينهم على اللّه في الصدقات!
يُكذّبُ أحدهم ما يسمع، ويُصدّق وعد اللّه!
فيا للصدقة كم هي درع تقي السوء، وتدفع البلاء
فتدرَّعي يا صحابيّة!

يا صحابيّة،

يروي الشيخ محمد سالم رحمه اللّه قصة عجيبة شهدها،

عن رجلٍ خرج من بيته يرتوي الماء فلم يجد حوله ماء،

ودخل ما يسمى: الدحل. والدحل: شبه المغارة تحت الجبل،

تتجمع فيه مياه الأمطار يَردُوَنه أوقات الجفاف،

ولكن يضيعُ فيه من لم يكن خبيرًا به،

ولما ابتعد قليلاً وعرف أنه ضلَّ الطريق وعجز عن الخروج،

جلس مكانه مظنة أن يجيء أهله إليه،

ولم يصل الماء ولكن طال مكثه واشتد جوعه وعطشه،

فرفع يديه يسأل ربه، فإذا بإناء بين يديه،

فأهوى به إلى فمه فإذا به حليب البقر،

ومكث خمسة عشر يومًا على ذلك الحال،

إلا في اليوم الأخير فلم يجد الحليب وفي اليوم الأخير عثروا عليه،

وعجبوا أن يكون باقيًا على قيد الحياة بعد تلك المدة الطويلة،

فسألوهُ عن ذلك ولكن لم يجبهم!

وسألهم هو: ماذا فعلتم بمنيحة فلان؟ لأيتام جيرانه كان قد منحهم حليب من بقرته كلَّ يوم

فقالوا: كنا نرسلها إليهم إلا الأمس!

فقال: قد علمت ذلك!

قالوا: وكيف علمت الخبر؟

فأخبرهم بمجيء إناء الحليب كلَّ يوم إلا بالأمس فقط!

زمن المعجزات والكرامات لا ينقضي يا صحابيّة!

لأن ربَّ المعجزات والكرامات حيّ لا يموت،
سنّته في الكون ماضية، وإحسان عبده إليه مردود عليه،
ومن أجمل ما قال الأوائل: صنائع المعروف تقي مصارع السوء!

اِرحَمي تُرحمي!

أنتِ أيضاً صحابيَّة،
قلبكِ أسير مجالس النبيِّ صلى اللّه عليه وسلم،
هناك تجدين راحكِ ومستراحك،
في قسماتِ وجهه الشريف يحطُّ القلب رحاله،
ومن صوته العذب تشرب الروح وترتوي،
مجالس للدين والدنيا معاً،
فبها زاد الآخرة التي إليها مآلنا،
وفيها حكمة الدنيا التي فيها معاشنا،
وإلى مجلس النبيِّ ﷺ جاء الأقرع بن حابس،
وفي المجلس الحسن بن علي، طفلٌ صغيرٌ يلعب،
فأخذه النبيُّ ﷺ وقبَّله...
فقال له الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قبَّلتُ أحداً منهم قط!
فقال له النبي ﷺ: من لا يَرحم لا يُرحم!
وجاءه أعرابي، والحسن بين يديه طفلٌ صغير يلعب،
فأخذه وقبَّله، وعانقه ...
فقال الأعرابي: تُقبِّلون الصبيان؟ أما نحنٍ فما نُقبِّلهم!
فقال له النبي ﷺ: أَوَأملكُ لكَ أنْ نزعَ اللّهُ من قلبك الرَّحمة!

يا صحابيَّة،
تأمليها بقلبكِ وروحكِ: من لا يَرحَمُ لا يُرحم!
إنَّ من عدل اللّه سبحانه أنه جعل الجزاء من جنس العمل!

جزاء الخير خيرٌ مثله، وجزاء الشر شر مثله!
ما غرقَ فرعونُ إلا لأنه كان يقول «أليسَ لي ملك مصر وهذه الأنهـار تجري من تحتـي»!
فأجرى اللّه تعالى ماء البحر من فوقه!
وإخوة يوسف عليه السلام الذين قبضوا بأيديهم ثمنه لمّا باعوه، مدُّوا أيديهم بعد ذلك يستعطونه لمّا صار عزيز مصر!
وإن الشهيد لا يُفتن في قبره لأنه تكفيه بارقة السيوف فتنة!
وإنَّ أول المخلوقات يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، ذلك لما أكلتِ النار التي ألقاه فيها قومه من ثيابه!
هذه الدنيا تدور، وكل ساقٍ سيُسقى من الكأس التي سقى منها غيـره،
إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ!
كل صدقة تضعينها في يد فقير هي حفظ لكِ،
أن تقفي ذات يوم تمدِّين يدكِ وتطلبين الصدقة من أحد!
كل مريضٍ أنفقتِ في علاجه هو حصانة أن يُصيبكِ ذلك المرض!
كل دمعةٍ مسحتيها بيدكِ هي يد تخبئينها للزمن إن جرتْ يوماً دمعتكِ!
كل يد مساعدةٍ أقمتِ فيها متعثراً،
هي يد تخبئينها للغد، إن تعثرتِ وجدتِ من يُقيمكِ!
كل مظلومٍ أعنتيه هو جندي تُخبئينه للغد يُعينك إن ظُلمتِ يوماً!
كل كلمةٍ طّيبة قلتيها في غياب أحد،
هي كلمة طيبة سيقولها أحد عنكِ في غيابكِ!
كل عرضٍ دافعتِ عنه كأنه عرضكِ،
هو عرضكِ الذي تحمينه في المستقبل إن أراد أحد أن ينال منه!

حتى الدعاء للميتِ هو دعاء لكِ تخبئينه حين تموتين،
فكما رفعتِ يدكِ تدعين لميتٍ،
سيجعل اللّٰه من يرفع يديه ليدعو لك وأنتَ ميت!
لا أحد أحفظُ للمعروف من اللّٰه،
أما رأيتِ كيف أرسلَ نبياً وولياً صالحاً ليُقيما جدار غلامين يتيمين،
لأن أباهما كان صالحا؟!

يا صحابيّة،
هذا دين الرَّحمة، والحنان، والشفقة،
ومن لم يكن في قلبه رحمة فما فهمَ الإسلام حقَّ فهمه،
وما أصابَ منه إلا كما يصيبُ السَّهمُ من الرَّمية،
يخرقها، ويمرُّ منها مروراً،
وليس له من نصيبٍ غير ذلك المرور!
كان الصحابة في سفرٍ مع النَّبيّ ﷺ،
وذهب نبيُّكِ وحبيبكِ لبعض حاجته، وترك الصحابة وحدهم،
فرأوا حُمَّرةً معها فرخان، فأخذوا فرخيها،
فجعلتّ تُحلِّقُ فوقهم وتصفِّق بجناحيها،
أُمٌّ ثكلى بفقد أولادها!
ثم جاء النبيُّ ﷺ وقال: من فجعَ هذه بولدها؟ رُدُّوا ولدها إليها!
يا له من دين، ويا لها من شريعة،
ويا له من نبي لا يرضى أن يُكسر خاطر عصفورة!
إنَّ جبر القلوب مُقدَّم على جبر العِظام،

لأن كسر القلوب أشدُّ ألماً،
وكسر العظام سرعان ما يلتئم، أما كسر القلوب فيبقى أبد الدهر،
وإن النبي ﷺ لم يرضَ أن يفجعَ أحدٌ أحداً!

يا صحابيَّة،
الكلمة التي تقولينها في مجلس ضد زميلة أو قريبة لتُضحكي الآخرين عليها،
تنغرسُ في قلبها عميقاً!
وينفضُّ المجلس، وينتهي الضحك، وتضع رأسها على وسادته حزينةً،
ولربما لم تنم ليلتها تلك لأجل أنَّ حضرتكِ أردتِ أن تتسلي!
جبر الخواطر عبادة، كالصيام والصلاة تماماً..
ابتسامتكِ في وجه مسكينةٍ بالنسبة إليكِ مجرد ابتسامة لا تكلف شيئاً،
ولكنها بالنسبة إليها هدية عظيمة قد تصنع يومها كله،
وتُشعرها بإنسانيتها وقيمتها التي سلبتها قسوة الحياة شيئاً منها!
زيارتكِ لموظفةٍ مسكينةٍ عندكِ نزل بها مرض،
هي بالنسبة إليكِ مجرد دقائق معدودة،
ولكنها بالنسبة إليها عطاء فخم، وثروة مهولة!
جرِّبي أن تسألي عاملةً بسيطةً عن سبب تغيُّبِها البارحة عن العمل،
وتأملي مقدار السعادة في عينيها،
ثمة أشياء لا تُكلِّف كثيراً ولكنها تعني كثيراً!

يا صحابيّة،

إسعاد الآخرين لا يحتاج إلى ثروة ضخمة،
بقدر ما يحتاج قلباً عظيماً،
وإتعاس الآخرين لا يحتاج سيفاً مُسلَّطاً،
ولا لكمةً قوية، ولا صفعةً شديدةً،
كلمة واحدة فقط قد تكون أكثر إيلاماً من ضربة سيف،
فلا تفجعي أحداً بنفسه!

يا صحابيّة،
دخلَ النبيُّ ﷺ بستاناً لأُناسٍ من الأنصار،
فإذا فيه جَملٌ ...
فلما رأى النبيَّ ﷺ حنَّ وذَرفَتْ عيناه!
فاقتربَ منه النبيُّ ﷺ ومسحَ على رأسه حتى سكتَ،
ثم قال: لمن هذا الجمل؟
فجاء فتى من الأنصارِ، فقال: لي يا رسول اللّه!
فقال له: أفلا تتقي اللّه في هذه البهيمة التي ملَّكَكَ اللّه إياها،
فإنه شكا إليَّ أنك تُجوِّعه وتدئبه/تتعبه!
لم يرضَ النبيُّ ﷺ أن يجوعَ الجمل،
فلا يأخذ حظّه من الطعام،
وأن يتعبَ ويُحملَ عليه ما لا يُطيق،
هذا الدين الذي رفع أتباعه إلى أعلى مراتب الإنسانية،
حثَّهم على الرحمةِ بالحيوان فما بالك بالناس!

يا صحابيَّة،
عندما يُحدِّثُنا النبيُّ ﷺ عن المرأة،
التي دخلت النار في هرةٍ حبسَتْها حتى ماتتْ،
فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكلُ من خشاش الأرض،
فَلِيُعلِّمَنا احترام الأرواح والأنفس حتى ولو كانتْ للبهائم!
وحين يُحدِّثُنا عن الرجل الذي كان يمشي، فاشتدَّ عليه العطش،
فنزلَ بئراً فشربَ منها ثم خرجَ فإذا هو بكلبٍ يلهثُ،
ويأكلُ التراب الندي الرطب من العطش،
فقالَ في نفسه لقد بلغَ هذا مثل الذي بلغَ بي،
فملأ خُفَّه ثم أمسكه بفمه وصعدَ حتى سقى القلب،
فشكرَ اللّه له وغفرَ له،
لِيُعلِّمَنا أن من عاملَ المخلوقات بصفةٍ عامله اللّه بها،
من رَحِمَ رُحِمَ، ومن قسا عُوقِبَ!
روى الذهبيُّ أن مسعود الهمذاني كان رجُلاً يُحِبُّ العفو والصفح،
وكان يُرغِّب به، ويدعو إليه،
وإذا جاءه من يعتذرُ منه، عفا عنه وقال له: الماضي لا يُذكر!
توفي مسعود، ورُئِيَ في المنام،
فقيل له: ما فعلَ اللّه بك؟
فقال: أوقفني بين يديه وقال لي: الماضي لا يُذكر! خذوه إلى الجنَّة!

يا صحابيّة،
كان الصحابيُّ الجليل عَديٌّ بن حاتم الطائي،
يفُتُّ الخبزَ للنملِ قربَ جدارِ بيته،

ويقول: إنهنَّ جارات لنا ولهُنَّ علينا حق الجوار!
هذه كانت رحمتهم في الجار من النمل،
فكيف يا تُرى كانت رحمتهم في الجار من الناس!
أؤمنُ أن الصُّحبة كالنُّبوة اصطفاء واختيار،
وأنَّ اللّه حين اصطفى الصحابة لرفقة نبيّه ﷺ ،
كان قد نظرَ إلى قلوبهم فارتضى ما فيها من رحمةٍ وحُبٍّ وإيمان،
فاعلمي : إنما المرءُ بقلبه،

يا صحابيَّة،
عندما مرضَ أبو الدرداء مرضَه الذي مات فيه،
نظرَ إلى باحةِ داره،
فرأى بعيراً له كان يستخدمه في معاشه،
فقال: يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربِّكَ،
فإني لم أحمِّلكَ فوقَ طاقتك!
كانوا يخافون أن يشكوهم أحدٌّ إلى اللّه،
ولو كان هذا الشاكي دابّة!
فاحذري أن يشكوكِ أحد إلى اللّه،
احذري أولئك البسطاء الذين ليس لهم من يُدافع عنهم من الناس،
هؤلاء اللّه نصيرهم، فإنَّ اللّه عند المنكسرة قلوبهم!
وربما ظلمتِ أحداً فنمتِ لا تُلقين للأمر بالاً،
وقام هو ليلته بين يدي اللّه،
ورفع إلى المليك شكواه،
شكوى نوحٍ عليه السلام: ربِّ إني مغلوب فانتصر!

يا صحابيَّة،
اشتهى عمر بن الخطاب السَّمكَ يوماً،
فقال: لقد خطرَ على قلبي شهوة الطَّري من حيتان البحر.
فخرجَ خادمه يرفأ على ناقةٍ لعمر يطلبُ السَّمكَ،
فسارَ ليلتين ذاهباً، وليلتين عائداً،
وجاء بالسمكِ إلى عمر ...
فنظر عمر إلى الدابة فرأى عَرقاً تحت أذنها،
فقال ليرفأ: عذَّبتَ بهيمةً من البهائم في شهوة عمر،
واللّهِ لا أذوقه أبداً، كُله أنتَ!
إنكِ تعلمين أن أكل السّمكِ حلال،
وأنَّ الدوَّاب خلقها اللّه، وسخّرها لنا لنستخدمها،
ولكن عُمر بهذه الرحمة في قلبه،
تورّع عن الحلال لأنه أزعجه أن تتعب دابة في شيءٍ اشتهاه،
انظري إلى رحمتهم بالبهائم،
ثم انظري إلى قلبكِ، وسلي نفسكِ سؤالاً واحداً:
كيف هي رحمتي بالناس؟!
فإن رضيتِ عن قلبكِ،
وإن كنتِ مطمئنة لا تخافين مقابلة اللّه به،
فأنتِ بخيرٍ، وعلى خير،
وإن وجدتِ فيه قسوةً وغِلظة،
فاعلمي أنَّ النار إنما خُلقت لتُلين قلوباً ما لانتْ في الدنيا!

يا صحابيّة:

كتب عمر بن عبد العزيز إلى حيَّان بمصر:

إنَّه بلغني أنَّ بمصر إبلًا نقالات،

يحمل على البعير منها ألف رطل،

فإذا أتاك كتابي هذا،

فلا أعرفنَّ أنَّه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل،

وكتب إلى صاحب السكك أن لا يحملوا أحدًا بلجام ثقيل،

ولا ينغزوا الدابة بمقرعة في أسفلها حديدة،

خليفة المسلمين يصدر تشريعاً رئاسياً، وتوصية عليا،

بمن؟ بالبهائم!

كانوا يعرفون أن الله سائلهم عن كل ما هو تحت أيديهم،

فتشبهي بالكِرام يا كريمة!

باقة مواقف

أنتِ أيضاً صحابيَّة!
الحكمة ضالتكِ، وحيثما وقعتِ عليها كنتِ أولى الناس بها،
وقد ترافقنا رفقةً حلوة في هذا الكتاب،
رفقة زينتها مواقف المؤمنات والمؤمنين،
طفنا بها التاريخ، وعرَّجنا على الحاضر،
وتحدثنا كيف نجعلُ هذه الأحداث مواقفَ وسلوكاتٍ،
وقد وصل بنا المطاف إلى نهاية الكلام،
وأحببتُ أن اجعلها باقة مواقفٍ من هنا وهناك،
شيء من العبق المتنوع الذي يشدُّ بعضه أزر بعض،

يا صحابيّة:
تقولُ أُمنا عائشة: جاءتْ عجوز إلى النبيِّ ﷺ وهو عندي،
فقال لها: من أنتِ؟
فقالتْ: أنا جثَّامة المزنيَّة.
فقال لها: بل أنتِ حسَّانة المزنيّة!
كيف أنتم؟ وكيف حالكم؟ وكيف كنتم بعدنا؟
فقالتْ: نحن بخير، بأبي أنتَ وأمي يا رسول اللّه،
فلما خرجتْ من عنده قلتُ: يا رسول اللّه تُقبلُ على هذه العجوز هذا الإقبال؟
فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان!
نسيَ النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم هيئة جثامة المزنية،

فلما سألها عن نفسها، وعرفها، أكرمها، وأقبلَ عليها،

فقط لأنها كانت من صويحبات خديجة،

وهو إكراماً لعهد خديجة يُكرم صاحبتها!

تأمليها بقلبكِ وعقلكِ: إنَّ حسن العهد من الإيمان!

قال محمد بن واسع: لا يبلغُ العبد مقام الإحسان،

حتى يُحسن إلى كل من صحبه ولو ساعة!

وكان إذا باع شاةً يوصي بها المُشتري ويقول: قد كان لها معنا صُحبة!

عندما يقعُ بينكِ وبين صديقةٍ لكِ خصومة،

فتذكَّري لحظات الوفاق القديمة،

تذكَّري الضحكات التي ضحكتماها معاً، والدمعات التي بكيتماها معاً،

والخبز والملح الذي أكلتماه معاً،

ولا تفجري في الخصومة، ولا تردّي الإساءة بمثلها!

وعندما يقع بينكِ وبين جارةٍ لكِ سوء تفاهم،

فتذكَّري مرضكِ الذي زارتكِ به،

والعزاء الذي وقفتْ معكِ فيه،

وصحن الطعام الذي أهدتكِ إياه في نهار رمضان،

فإن العِشرة لا تهون عند النبلاء!

إن جُرحتِ فغادِري بهدوء، وإن أُهِنتِ فابتعِدي،

وكُوني خير ولدي آدم عليه السلام،

ذاك الذي رفضَ أن يبسط يده إلى أخيه حتى بعد أن بسطها إليه،

فإن حسن العهد من الإيمان!

يا صحابيَّة:

كانتْ سُمية بنت خياط أم عمار بن ياسر سابعة شخصٍ في الإسلام!

وكان بنو مخزوم إذا ما اشتدت الظهيرة، والتهبت الرمضاء،

خرجوا بها هي وابنها وزوجها إلى الصحراء، وألبسوهم دروع الحديد،

وأهالوا عليهم الرمال المتقدة، وأخذوا يرضخونهم بالحجارة،

وكان رسول اللّه صَلى اللّه عليه وسلم يمر بعمار وأمه وأبيه،

وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول:

صبرًا آل ياسر، فإنَّ موعدكم الجنة،

فاعتصمت سُميّة بالصبر، وقرَّتْ على العذاب،

وأبت أن تعطي القوم ما سألوا من الكفر بعد الإيمان،

فذهبوا بروحها، وأفظعوا قِتلتها،

فقد أنفذ النذل أبو جهل حربته فيها،

فماتت، وكانت أول شهيدة في الإسلام.

قال ابن حجر: وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن مجاهد،

قال: أول شهيدة في الإسلام سمية والدة عمار بن ياسر،

وكانت عجوزًا كبيرة، ضعيفة،

ولما قُتل أبو جهل يوم بدر قال النبي ﷺ لعمار:

قتل اللّه قاتِل أمك!

الموتُ ليس نهاية المطاف يا صحابيّة،

وإنما بداية الرحلة الطويلة التي لا مستقرَّ بعدها،

إلا في الجنّةِ أو في النار،

لا الثبات على الحق يُنقص العمر،

ولا النفاق والتلون يزيدُ فيه،

وليس المهم كيف نموت وإنما كيف كنا نعيش قبل الموت،
ونحن لا نختار بأيِّ طريقة نموت،
ولكننا نختار بأيِّ طريقة نعيش،
أبو بكر مات على فراشه،
وعُمر وعليّ مطعونين في صلاة الفجر،
وعثمان مذبوحاً على المصحف،
وأبو عبيدة بالطاعون،
كلٌّ واحدٍ منهم مات بطريقة،
ولكنهم جميعاً عاشوا للّه!

يا صحابيّة:
يقولُ الإمام أحمد بن حنبل عن أمه:
حفظتني أمي القرآن وأنا ابن عشر سنين،
وكانت توقظني قبل صلاة الفجر،
وتُحمي لي ماء الوضوء في ليالي بغداد الباردة،
وتُلبسني ملابسي،
ثم تتخمر وتتغطى بحجابها،
وتذهب معي إلى المسجد،
لبعد بيتنا عن المسجد ولظلمة الطريق!
النساء مصانعُ الرِّجال يا أُخيَّة،
هذا ثغركِ الذي لا يستطيعُ أحد منا نحن الرجال،
أن يقومَ به عنكِ،
أنتِ حارسة العقيدة الأولى، وحامية هذا الدين،

ما بين يديكِ ليس مجردّ أولادٍ وبنات،
بين يديكِ مشاريعُ صحابةٍ وصحابيّات،
ما أدراكِ أن هذا الطفل قد يُصبح فاتحاً لبيت المقدس،
أو محدّثاً يذبُّ الكذب عن النبي ﷺ ،
أو داعية يُعبِّدُ طريق النّاس إلى اللّه،
أو طبيباً متديناً، يدعو إلى اللّه بقلبه، وشفقته، وإنسانيته،
فيشفي على يديه اللّه القلوب العاصية قبل الأجساد المريضة،
ما أدراكِ أن ابنتكِ التي تحسنين تربيتها هي التي،
ستتولى تربية رجلٍ عظيم ينفعُ اللّه به العباد والبلاد،
فيكون الجميع في ميزانكِ وأنتِ لا تدرين!

يا صحابيّة:
من غريب ما قرأتُ:
رُئِي سيبويه بعد موته في المنام،
فسُئل عن حاله،
قال غفر لي بقولي: اللّه عَلَم لا يحتاج إلى تعريف!
ورُئي الخليل بن أحمد في المنام،
فسُئل عن حاله،
فقال غفر اللّه لي بعجوز علمتها الفاتحة!
ورئي الفاروق فسُئل أيضا،
فقال غفر اللّه لي بعصفور فككته من صبية أرادوا قتله!
من قال لكِ أن الجنّة عسيرة،
واللّهِ هي أقربُ إليكِ من شِراكِ نعلكِ،
فقط اخلصي نيّتكِ، واجعلي القلب كله للّه!

يا صحابيّة:
كان على عهدِ النبيِّ صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم امرأةٌ سوداء تُنظِّفُ المسجد،
ثم ماتتْ ...
فكأنهم استصغروا أمرها فدفنوها،
ولم يُخبروا النبيَّ ﷺ بأمرِها!
ثم إنَّ النبيَّ ﷺ فقدَها، فسأل عنها،
فقالوا: ماتت يا رسول اللّٰه!
فقال: أفلا كنتم آذنتموني، دُلوني على قبرها!
فدَلُّوه، فصلَّى عليها، ثم قال:
إنَّ هذه القُبور مملوءة ظُلمة على أهلها،
وإنَّ اللّٰه عزّ وجل يُنوِّرها بصلاتي عليهم!
مما ٱبتُلينا به في هذه الأيام أنه،
إذا ماتَ لأحد الأثرياء والمُتنفِّذين وأصحاب المناصب قريب،
جاءَ الجميعُ إلى عزائه،
وإذا ماتَ الإنسان البسيط كان الذين يمشون في جنازته،
يُعدُّون على الأصابع!
أصبحَ الموتُ طقساً من طقوس الانتفاع!
يُروى أنه ماتتْ خادمة كبير القضاة،
فجاءَ التجار والأعيان ووجهاء البلد يُعزُّونه بها،
وعندما ماتَ كبيرُ القُضاة لم يمشِ في جنازتِه من هؤلاء أحد،
فقد كانوا يُباركون لكبيرِ القُضاةِ الجديدِ منصبه!
الحُبُّ في هذا الدين عبادة،
ومكانةُ الأشخاص في قلبكِ يجب أن تكون،

بحسب قُربهم من اللّه وبُعدهم عنه،
لا بحسب ثرائهم ومناصبهم،
فالمرأة التي كانت تُنظِّف المسجد لم يرفعْ قدرها عند النبيِّ ﷺ،
غير عملها الصَّالح في خدمةِ دين اللّه،
علينا أن نتوقَّف عن الاعتقادِ أنَّ قيمة الإنسان بما يملك،
إنما المرءُ بقلبه،
ما أدراكِ أنَّ هذا المُسِنَّ الذي يأتي لصلاة الفجرِ يتَّكِئُ على عكازه،
هو عند اللّه خير من أثرياء الدنيا كلهم،
وأنه بطل وقوي،
أقوى كثيراً من الشُّبانِ الذين يرفعون الأثقال في النوادي،
ولا يستطيع أحدهم أن يرفعَ لحافه إذا ما نادى المُنادي: الصلاةُ خيرٌ من النوم!
من قالَ لكِ أنَّ الوزير أحبُّ إلى اللّه من كنَّاس الطريق!
وأنَّ المُمثلة الثرية والحَسناء أقرب إلى اللّه،
من عجوز تثني ركبتيها على سجادتها،
ولسانها لا يكفّ عن ترداد: اللهم حُسن الخاتمة!
إنَّ قيمة الناس عندنا يجب أن تكون بمقدارِ صلاحِهم وخدمتِهم لدين اللّه،
الثريُّ الصالحُ خيرٌ من الفقيرِ العاصي،
والفقيرُ الصالحُ خيرٌ من الثريِّ العاصي!
ربحَ بيعُ صُهيبٍ لأنه تركَ مالَه للّه!
وارتفعَ شأنُ بلال لأنه ردَّد تحت الصخرة أحدٌ أحد!
و«سلمان منا آل البيت» لأنه طافَ الدنيا بحثاً عن الحق!

لا تزهدي بالبُسطاء والمساكين،
فواللّهِ إن اللّه يرضى عنكِ بالصَّدقةِ على فقيرٍ ومسكينةٍ،
أكثر ممَّا يرضى بالهدية للغنيِّة،
ويُحبَّكِ لزيارةِ المسكينةِ المريضة فارغة اليدين،
أكثر ممَّا يُحبكِ لزيارةِ المُتنفِّذة وصاحبةِ المنصبِ،
وبيدك باقة ورد أو علبة حلوى!

يا صحابيّة،
كان في عهد عمر بن الخطاب مجموعة من بائعي اللبن،
يقومون بخلط اللبن بالماء حتى يكثر ويزداد وزنه،
ويكسبون فيه أضعافًا،
فذهب الناس لأمير المؤمنين يشكون إليه من بائعي اللبن،
وأرسل عُمر مناديًا ينادي في الأسواق ويقول:
يا بائعي اللبن لا تشوبوا اللبن بالماء فتغشوا المسلمين،
ومن يفعل ذلك فسوف يعاقبه أمير المؤمنون عقاباً شديدًا،
وكان من عادة أمير المؤمنين الفاروق عمر أن يتفقد أحوال الرعية،
فخرج ذات ليلة مع خادم له يدعى أسلم،
ثم جلس ليستريح بجوار أحد الجدران،
فسمع امرأة تقول لابنتها:
يا بنيتي: هيا قومي فاخلطي اللبن في الماء!
فقالت الفتاة لوالدتها: يا أماه،
أما سمعت ما قاله منادي أمير المؤمنين اليوم؟
فقالت الأم لابنتها: وما قاله منادي عمر؟

فقالت الابنة: إنه أمر ألا يخلط اللبن بالماء،
فقالت الأم لابنتها: يا بنيتي: قومي فاخلطي اللبن بالماء،
فإنك في موضع لا يراه عمر ولا منادي عمر،
فردت الفتاة على والدتها: والله يا أماه،
ما كنتُ أطيعه في العلن وأعصيه في الخفاء،
وإن كان عمر لا يرانا فإن الله سبحانه وتعالى يرانا!
فلما سمع أمير المؤمنين هذا الحديث نادى خادمه،
وقال له: يا أسلم ضع علامة على هذا الباب،
وفي الصباح أمر أسلم أن يذهب ويستطلع أحوال تلك الفتاة،
وإن كان لها زوجٌ أم لا،
فعاد أسلم إلى نفس المكان وسأل عن أهل البيت،
فعلم أن الفتاة هي أم عمارة بنت سفيان بن عبدالله بن ربيعة الثقفي،
وتعيش مع والدتها العجوز ولا زوج له،
ولما أخبر أسلم أمير المؤمنين أن الفتاة لا بعل لها،
أرسل إلى أبنائه الثلاثة عبد الله، وعبد الرحمن، وعاصم،
وقال لهم: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه،
ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية،
فقال عبد الله بن عمر لأبيه: إن لي زوجة،
وقال أخوه عبد الرحمن: إن لي زوجة،
وقال عاصم: يا أبي لا زوجة لي فزوجني!
فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم،

وكان عاصم بن عمر بن الخطــاب من النبــلاء وكـان من أحــسن الرجال خلقًا،
وأنجبت أم عمارة لعاصم بنتان،
إحداهما تدعى حفصة، والأخرى وهي ليلى،
وقد تزوجت ليلى بنت عاصم من عبد العزيز بن مروان،
ابن الخليفة الأموي مروان بن الحكم،
وأخو الخليفة عبد الملك بن مروان،
وأنجبت له عمر بن عبد العزيز الذي لُقب بخامس الخلفاء الراشدين،
لشدة ورعه وعدله مثل جده عمر بن الخطاب رضي اللّه عنهما،
لحظة صدقٍ مع اللّهِ ومراقبته،
كانت سبباً في أن تحصل هذه الفتاة على زوج هو ابن الخليفة!
وتحصل ابنتها على زوجٍ من بيت عريقٍ في الخلافة،
وتُنجب عمر بن عبد العزيز أعظم الخلفاء بعد الراشدين،
قلوبُ الرجال بيدِ اللّه يا صحابية،
فأصلحي قلبكِ للّهِ يأتيكِ بقلب من يستحقكِ إلى باب بيتكِ!

يا صحابيّة:
كانتْ أُمُّنا عائشة جالسةً يوماً مع النبيِّ ﷺ،
فقالتْ له: حسبكَ من صفية كذا وكذا!
أي أنها قصيرة القامة!
فقال لها النبيُّ صلَّى اللّه عليه وسلَّم: يا عائشة،
لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماءِ البحرِ لمزجته!
رغمَ أن صفية قصيرة فعلاً ولم تتجنَّ عائشة عليها،

إلا أن النبيَّ ﷺ عدَّ ذلك غيبةً عظيمةً،

فقد سبقَ وأن عرَّفَ الغيبة بقوله: الغيبة ذكركَ أخاك بما يكره!

فقال رجل: يا رسول اللّٰه أرأيتَ إن كان في أخي ما قلتُ فيه؟

فقال له: إن كان فيه ما قلتَ فيه فقد اغتبْتَه، وإن لم يكُنْ فيه فقد بهتَّه!

لاحظي معي يا صحابية أن الإنسان لا يستطيع أن يخرجَ من قفصِ بشريته،

مهما بلغ من الإيمان عتياً،

مهما كانتْ الزوجة مُؤمنة ستغار من ضرتها،

الأمر لا علاقة له بالإيمان بقدر ما له علاقة بهذه النفسِ البشريةِ،

التي جَبَلَنا اللّٰه سُبحانه عليها!

يعتقدُ الناسُ أنهم وهم يغتابون الآخرين أن لا شيء في الأمر طالما هي حقائق!

وكأن الحقيقة تُبيحُ لكَ أن تأكلَ لحوم الناس!

تجدين المجالس ضيافتها لحوم الناس،

يُقرمشونها للتسلية، وإشباع حاجة الفضول والثرثرة!

لا يَسلم منهم دين فلان ودُنياه، ولا عرض فلانة وحياتها،

وكأنهم رُقباء على الناس، وهؤلاء في الأغلب إذا أردتِ أن تنتقدي أحوالَهم،

لا تعرفين من أين تبدئين!

أما عن البُهتان فحدِّثي ولا حرج!

كم من زواجٍ أُلغِيَ فقط لأن أحدهم ألَّفَ للخاطب قصة عن المخطوبة،

هي منها براء براءة الذئبِ من دمِ يوسف عليه السَّلام!

وكم من رزقٍ قُطِعَ فقط لأن أحدهم هوايته،
تركيب الأفلام في حياة الناس!
وكم من صدقة قُطِعَتْ عن فقيرٍ مُحتاجٍ فقط لأن رجلاً ضيِّق الصدر والقلب،
أخبر المُتصدِّق أن فلاناً ليس فقيراً وأنه يشتري ويصرف،
هذا فقط لأنه رآه يوماً حاملاً ربطة خبز لأولاده،
أو شاهده عند الجزار أو بائع الخضار!
يريدُ هذا الباهت أن يدفنَ الناس أحياء!

يا صحابيّة،

انتهى الكلام، وعاد قلمي إلى غمده،
وهذا الكتاب بين يديكِ الآن، وما هو إلا نصيحة مُحبٍّ مشفقٍ،
وإني واللّهِ على كثير ذنوبي وعصياني،
إلا أني أُحبُّ أن أرى الخير في أمة رسول اللّه،
فإن وجدتِ هنا خيراً فانشريه،
وإن وجدتِ شرّاً فاكتميه،
وسألتكِ باللّه أن تكرميني بدعوةٍ من قلبكِ الطّيب،
بأن يغفر اللّه لي ذنوبي، ويعفو عنّي، ويختم لي رحلة الدنيا بالشّهادة في سبيله،

والسَّلام لقلبكِ

الفهرس